جاكلين غيلبرت

# زائرة!

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٢٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

COUNTRY COUSIN



# روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الاربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



## ١ ـ يقول توماس كارو عن الهروب قبل فوات الاوان: «ان الذين يقهرون الحب هم الذين ينجحون بالفرار منه قبل الوقوع فيه». لكن اليانور فارس لم تتخلص كلياً من صدمتها عندما وقع الذي احبته في هوى اختها... والزواج على الابواب!

أخرج سائق التاكسي الحقائب من مؤخرة السيارة بينما كانت اليانور روز فارس تجيل طرفها في ارجاء البيت أمامها وقد ازداد حماسها. غادرت منزل والديها هذا الصباح بعد ان هيأتها والدتها وشرحت لها شرحاً وافيا تفاصيل المنزل المدعو بربوري لودج وجماله. القسم القديم منه مبني على الطراز الاليزابيثي فوق مساحة شاسعة تمتد حوالى الخمسة آلاف متر مربع في بقعة منعزلة من منطقة ساري وها هي الآن أمام البيت الذي ستمضي فيه عطلة غير متوقعة...

سعل السائق بلطف يحاول ان ينبهها انه لا يزال ينتظر اجرته ليرحل. ادخلت اليانور يدها في حقيبتها المعلقة بكتفها ونقدته الاجرة وراقبته يعود ببطء الى الطريق العام.

بدأت اليانور تتفحص المكان برمته. الحديقة المليئة بالازهار المتفتحة والعشب الاخضر المنسق والاشجار الباسقة التي تحيط بالسور الخشبي. تركت اليانور حقائبها أمام المدخل الرئيسي للبيت ومشت الى طرف السور ومالت تنظر خلف الجدران التي ظللتها الأشجار. انه شهر أيلول/سبتمبر لكن الحرارة شديدة كأن فصل الصيف في منتصفه. خلعت اليانور سترتها ورفعت اكمامَ قميصها القطني وامسكت بقبعتها الكبيرة ولوحت بها قرب وجهها كأنها مروحة. اقترب من السور حصانان كانا يسرحان بأمان قرب الاسطبل المخصص لتربيتها في الطرف الآخر من الحديقة الكبيرة المحيطة بالمنزل.

وضعت اليانور يدها تحت ذقنها وهي تفكر بما تركت وراءها من مشاكل في منزل والديها... ستتزوج شقيقتها كاتي بعد سبعة اشهر وستكون هي الاشبينة في حفلة الزفاف. لكن الزمن كفيل بتضميد جراح قلبها، فمع الوقت ستعتاد لفكرة زواج شقيقتها من غاي سلايد تذكرت اليانور اول مرة التقت غاي وكيف انجذبت اليه على الفور كما احست انه انجذب اليها. واضطرب قلبها وهي تتذكر شعورها اللذيذ الدافىء... طلبت عندئذ من غاي مرافقتها الى حيث تعيش مع عائلتها في بيت والدها رجل الدين. لكن حين وقع نظره على شقيقتها وقع في غرامها. كان حبا من اول نظرة... شاهدت اليانور الحصانين يقتربان منها اكثر وهي واقفة قرب سور الحديقة.

شعورها الحقيقي نحو غاي لم يخف على والديها كما تمنت لأنهما شكّا في الأمر واقترحا عليها القيام برحلة الاستجمام هذه... تذكرت كلمات غاي وهو يودعها في محطة يورك قبل ان يتحرك القطار وهو يقول: ارجو ان لا تنسينا... الم تكن غاية رحلتها نسيانه... لم تعرف اذا كان عليها ان تضحك او تبكي. لو صممت اليانور ان تبتعد عن طريق الحب في المستقبل ولن تسمح لنفسها بتكرار مأساتها مرة ثانية، فهي شديدة الحساسية وجرحها اليم.

صعدت درجة فوق خشبة السور ومدت يدها وربتت على رأسي الحصانين... ولما لم يجدا في كفها ما يؤكل نفخا باستياء ظاهر.

- لا بأس. عندما احصل على ما يؤكل سأطعمكما...

مشت عائلة ببطء الى المدخل الرئيسي وقد حملت سترتها فوق كتفها ثم نظرت الى الجرس فوق الباب الخشبي الكبير وضغطت باصبعها عليه. نبح كلب من الداخل وسمعت صوتا بعيدا لجرافة مخصصة لقطع الاعشاب ونعق غراب كبير اسود وهو يطير من داخل شجرة اللب الكبيرة القريبة من المدخل. عاودت قرع الجرس من جديد ولكن احداً لم يسمع رنينه كي يفتح لها.

ـ اللعنة! ربما هم في المحطة لاستقبالي.

تذكرت اليانور ان عجلة سيارة غاي قد ثقبت وهو في طريقه لايصالها الى محطة القطار مما تسبب في تأخرها عن موعد سفرها حوالى الساعتين. لم تعرف اليانور ماذا ستفعل الآن. ترددت قليلا وهي تدور حول المنزل من الباب الخلفي. اقتربت من شجيرات الاوركيديا ووقفت تستمتع بجمالها ونسيت انها تفتش عن شخص يفتح لها الباب... نظرت عبر النافذة وتفحصت الاناقة الداخلية للمنزل الفخم. تذكرت ان احد افراد آل مانسل يعلم في تجارة الاثريات ورأت من النافذة مكتبا فخما من خشب الورد وخلفه شاهدت مقعدا جلديا وثيرا وعلى الرفوف فوق الحائط الكتب والمجلدات. تراجعت اليانور وهي ترى صورتها تنعكس في زجاج النافذة وقد بدا شعرها البني الطويل دون ترتيب... اجتازت مئتي ميل في القطار وهي عطشى وتحتاج لبعض الشراب او فنجانا من الشاي...

تابعت سيرها ووصلت الى حديقة صغيرة قرب المطبخ حيث وفي الطرف الجانبي بيت زجاجي معد لتربية الخضار. السور الخشبي يرتفع حوالى الستة اقدام. نظرت اليانور فوقها الى شجرة التفاح وقد تدلى من بعض اغصانها ثمر التفاح الشهي كأنه يدعوها للأكل. صعدت السور بسهولة وتسلقت بعد ذلك اغصان الشجرة ثم استقر على غصن من اغصانها وقطفت تفاحة شهية ومسحتها بثيابها وقضمت منها قضمتها الاولى قبل ان تنزل... نظرت من فوق الشجرة ورأت ان شرفة صيفية تقع تحتها مباشرة وقد رصت فوقها بعض الكراسي الحديدية والطاولات الصغيرة المخُصصة للشرفات. طارت دويبة صغيرة لها في مؤخرتها ما يشبه المقص قرب اذنها مما ازعجها كثيرا. ضربتها بطرف اصابعها تحاول ابعادها وبدأت تستعد للنزول ولكنها تسمرت في مكانها وهي تشاهد كلبا كبيرا يدخل

الشرفة. نبح الكلب نباحا حادا واذا بها تسمع صوت رجل يناديه وينهره:
ـ اصمت يا سايكس.
اقترب وقع الاقدام من الشرفة وكوّرت اليانور نفسها بداخل الشجرة واختبأت بين اوراقها وقد بدأ قلبها يضرب بقوة. اغمضت عينيها كأنها تقول في نفسها: اذا كنت لا اراهم فهم يروني!
سمعت اسمها في المحادثة... كان صوت انثوي حانق يقول:
ـ اف. لم نوفق بلقاء اليانور فارس. لماذا؟
قال صوت الشاب الضجر:
ـ انت لم تتأكدي من موعد القطار يا شقيقتي الصغيرة.
ـ اتوافر! لا بدّ انها قريبة من هنا والا كيف تفسر وجود حقائبها امام البيت؟ لقد ضقت ذرعا بالفتاة حتى قبل ان اراها. لماذا تدعو والدتي بعض المشردين والضالين وعليّ احتمال وجودهم؟ ربما هي فتاة جلفة وشنيعة وصلبة وتتكلم حتما بلهجة ابناء الشمال الكريهة.
ـ كم انت متعجرفة يا فانيسا. اذكر ان والدتي قالت ان السيد هيلاري فارس التقى زوجته وهما في جامعة اكسفورد فربما لا تكون لهجته شمالية كما تتوقعين وكذلك لهجة ابنته... ثم بعض الاشخاص يتكلمون بلهجة شمالية محببة.
ـ انا واثقة بانك تملك خبرة وفيرة في هذا المضمار. انت دائما تتهرب من ترتيبات والدتنا بلباقة. (نظرت اليه باهتمام) ولكن ما الذي عاد بك الى هنا في عطلة هذا الأسبوع؟ هل حضرت لرؤية صديقتك الآنسة موفات؟
ـ انت لا تعتقدين ان الضيفة الجديدة ربما تثيرني؟.
ـ لا اعرف. ربما تسليك بعض الوقت. انت تغير فتياتك بسرعة فائقة وربما تخاف ان تعلق باحداهن... اعط الفتاة فرصة فربما تتذكر فترة بقائها بيننا... بعض الذكريات الجميلة... هذا اذا وجدناها. انها تغيير محبب لما اعتدته من فتياتك السابقات. هي ولا شك بريئة ومهذبة وقليلة الخبرة او متخلفة ورجعية او ما شابه!
ـ لا أعرف. قلت لك سابقاً: ابقي انفك بعيدا عن حياتي الخاصة

وغرامياتي.
- عزيزي سأفعل ذلك لو استطعت. فأنا محبوبة بين الفتيات وجميعهن متحمسات ليتعرفن الى شقيقي الاسمر الوسيم الطويل الأنيق... ثم الا تستطيع ان تستعمل كلمة اخرى بدلا من غرامياتك؟
- مهلك يا شقيقتي قبل ان ادير الحراب الى نحرك... فأنت تخرجين في هذه الأيام مع فيليب نولان.
- وماذا في ذلك؟ انه شاب ممتع ومهذب ويساعدني في بعض شؤوني.
- ولكنه اكبر سنا من معظم اصدقائك... اتمنى ان تكوني عارفة جيدا تصرفاتك.
- ادوار. هل انت تهتم بأمري لأنني شقيقتك فقط؟
- لا. ولكنني اشك بأن والدينا يوافقان على تصرفاتك. فيليب يكبرك بعشر سنين ويشتهر بالسرعة الفائقة في قيادة سيارته وتبديل فتياته.
- كم يلذ الحديث معك!؟
- نحن نتكلم الآن بصددك. ان همست بكلمة واحدة في اذن والدتي فستعمد الى الحد من تصرفاتك الخرقاء. ولكن كلانا يعرف مدى انشغالها في الاعمال الخيرية واللجان الاخرى... فاذا اكتشفت ان الأمر بهذه الاهمية ستوقف كل نشاطاتها... لا تحرقي اصابعك يا فانيسا فأنت تلعبين بالنار!
- آه لو تفهم انني لم اعد طفلة صغيرة. (وقعت تفاحة قربها لكنها اكملت) انظر يا ادوار سأعقد معك اتفاقا: لا اتدخل بشؤونك وكذلك انت.
- ها! ها!
- الا تسمع؟ قلت نعقد اتفاقا...
- لا اتفاق بيننا... (سمع جرس الهاتف يرن وهتف) لماذا لا تجيب ديفي على الهاتف؟
- لقد رافقها سام الى طبيب الاسنان لانها تشكو من وجع ضرسها. ربما هي الزائرة على الهاتف تنتظر من ينجدها.
- سأحضر بعض الشاي.
دخلا الى المنزل وبقيت اليانور في مكانها بضع ثوان وهي تفكر بما

سمعت. كانت لا تريد الحضور الى ساري ولكنها لم تكن تعرف ان مضيفيها لا يرغبون في وجودها ايضا. . . الشعور بينهما متبادل. . . صحيح انها ابنة رجل دين محافظ وربما بريئة ولكنها ليست متخلفة وجامدة. . .

نزلت بسرعة عن الشجرة فرحة لأنهما لم يكتشفا امرها. امسكت بحقيبة يدها وملف الرسم من قرب السور وركضت باتجاه المدخل الرئيسي للمنزل. وحين وصلت وجدت ان حقائبها اختفت وقد بدت سيارة حمراء من نوع سيتفاير واخرى فضية رمادية من نوع جنسن امام الباب.

اخرجت اليانور نظارتها الشمسية ولبستها ووضعت قبعتها على رأسها بعد ان ادخلت شعرها تحتها. اعادت ترتيب حمرة شفاهها من جديد واصطنعت ابتسامة كبيرة قبل ان تقرع الجرس بثقة واطمئنان.

فتحت لها الباب فتاة جميلة ترتدي بنطلونا رماديا انيقا. مدت لها اليانور يدها تصافحها قائلة:

- انا اليانور فارس وانت بالتأكيد فانيسا. كيف حالك؟ لم نلتق في المحطة!

- اوه. نعم. . . اهلا وسهلاً.

اضطربت فانيسا وهي تصافحها، فلم تكن تنتظرها على هـذا الشكل.

- لقد تأخرت عن موعد وصولي. . . انني سعيدة بلقائك.

- ارجوك. ادخلي. نحن نجلس على الشرفة. الطقس لا يزال دافئا. . .

بقيت اليانور تثرثر وهي في طريقها الى الشرفة. كانت تجيل بصرها في الاثاث الفخم واللوحات الزيتية الجميلة والسجاد الوثير والاواني الصينية اللامعة. . . قالت فانيسا:

- آسفة لحضورك في تاكسي الى هنا.

- لا لزوم لازعاجكم. من السهل ايجاد تاكسي.

سمعت اليانور وقع اقدام باتجاه الشرفة وقالت فانيسا في نفسها: لا بد انه الدون جوان. . . الضجر. قالت فانيسا:

- ادوار؟ هذا انت؟ الآنسة فارس اقدم لك شقيقي ادوار.

قالت اليانور:

- تشرفنا. ارجوكما ان تناديايي باسمي: اليانور.

مدت يدها لتصافحه. كان يرتدي ثياباً باهظة الثمن وربطة عنق من اللون الرمادي لكن ادوار ابقى يدها فترة اكثر من المعتاد بين يديه وهو يصافحها ثم قال:

- انا سعيد لأننا اخيرا التقيناك. سمعتك تشرحين لشقيقتي عما كابدت من انزعاج بعدما ثقبت عجلة السيارة على الطريق.

لقد اختفى ضجره فجأة ربما شكلها شل حركته. وضع يده تحت ابطها وقادها الى الشرفة حيث ساعدها على الجلوس. قالت اليانور:

- بينما كان خطيب شقيقتي كاتي يوصلني الى المحطة في يورك ثقبت عجلة سيارته مما تسبب في تأخير موعد وصولي...

- هذا صحيح. اجلسي وارتاحي قليلا يا آنسة فارس وستحضر لنا فانيسا الشاي. انك تعبة بعد هذه الرحلة الطويلة الشاقة. (نظر الى شقيقته وامرها) هيّا يا فانيسيا. (خرجت فانيسا مطيعة وعلى الفور التفت اليها وسألها:) ماذا فعلت يا آنسة فارس بعائلتك التي كانت ترافقك؟...

- كيف؟ لقد حضرت وحدي.

- هذا غير صحيح! كيف تخليت بسرعة عن طفلك الصغير والآخر الذي كنت تمسكين بيده...

انزلت اليانور نظاراتها قليلا وحدقت في عينيه الزرقاوين: انه الرجل الطيب - جابر عثرات الكرام الذي التقته في محطة القطار.

سألته اليانور:

- هل جئت الى المحطة لاستقبالي؟

- طبعاً. انتظرنا كل قطار وعندما لم تحضري في القطار الموعود. لم نر فتاة مسافرة بمفردها عدت الى البيت.

- آسفة، لقد سافرت برفقة عائلة، وبينما كانت الوالدة تجمع حقائبها ساعدتها وحملت لها اطفالها...

تذكرت اليانور نفسها تمشي على رصيف المحطة تحمل طفلا بين ذراعيها وتمسك بالصغير الآخر بيدها. كادت تسقط وهي تجر الولد بيدها لو لم يساعدها الشاب ذو العينين الزرقاوين الناعستين ويمسك بها بقوة قبل ان

تسقط. بقيت بين قبضتيه فترة وجيزة وهي تحدق بعينيه... ثم قال: اسمحي لي. وحمل عنها الصبي الصغير... نظرت اليه اليانور وشكرته بكلمات مبتسمة لعينيه الزرقاوين وكان يقف امامها مسرورا للقيام بواجبه في مساعدتها... ثم رفع طرف قبعتها قبل ان تسقط عن رأسها... وشعرت اليانور بحمرة تكسو وجهها لا تعرف لها سببا واضحا. بدت كالبلهاء وهي تراه يبتسم للولدين قبل ان يتركها على الرصيف. نظرت الآن الى العينين الزرقاوين المتسائلتين وتذكرت احمرار وجنتيها خجلاً وتمنت لو كانت تستطيع ان تنهض من مجلسها امامه وتخرج هاربة ولا تعود... سألها:

- هل تحبين التمثيل على الناس دائما؟ هل انت ممثلة فاشلة؟
- يا الهي. كلا. هذا ليس صحيحا.
- ولكنك تمكنت من تضليلي... هل يروقك ازعاج الآخرين؟
- طبعا لا.

نظر ادوار قربه الى التفاحة الملقاة ارضاً ورفسها بحذائه فانقلبت وبان له نصفها المقضوم... ففهم على الفور ونظر اليها غاضباً وقال:

- كنت تجلسين في شجرة التفاح وتنصتين الى حديثنا: انا وشقيقتي...
- صدقني انني استمعت الى حديثكما دون قصد... لو كان لي الخيار لفضلت الا اسمع كلمة... فهمت اشياء كانت غامضة بالنسبة لي.
- يبدو ان حديثنا ازعجك كثيراً.

حدقت اليانور فيه بانزعاج وهي تفكر لنفسها: حين رأته في المحطة بدا وسيما جذاباً ولم يزعجها وجوده قربها. كان طويلاً نحيلاً يمشي باتزان وهيبة وهو يرتدي الثياب الانيقة. صوته دافىء حنون وعيناه الزرقاوان الناعسان لا يفوتهما فهم اي شيء، واثق من نفسه ومن تصرفاته الارستقراطية المتحضرة. قالت اليانور بعصبية:

- انا لا اظنك يا سيدي شخصا بسيطا وقليل التفكير والحيلة ويسرني الا تعتقدني كذلك فهل اذكرك بحديثكما: فتاة متخلفة، متزمتة، متشردة وضالة ولكنها بريئة ومهذبة...
- انت حساسة للغاية!

سكنتها مع عائلتها المحافظة جعلها حساسة للغاية تجاه ما يتوقعه الناس من تصرفاتها الحسنة والبريئة. اعتادت نظرة الناس لها على هذا الأساس. وهي هاربة من بيتها تنشد الراحة في منزل بريوري لتنسى مأساتها ولتكتشف الآن ان الراحة المنشودة سراب في هذا المنزل. كيف يمكنها ان تأمن جانب هذا الرجل، ادوار، او تثق به؟

مشى ادوار ببطء نحوها وازاح نظاراتها الشمسية عن عينيها وامسك قبعتها بيده ورفعها عن رأسها قبل ان تعترض او تتفوه بكلمة وقال:

ـ اعتقد اننا نستطيع ان نرى بعضنا افضل بدون النظارات والقبعة. (انسدل شعرها البني الطويل على كتفيها واكمل حديثه) لسوء الحظ انك سمعت ما دار بيننا. فانيسا تقول اشياء كثيرة لا تعنيها. (نظر اليها نظرة فاحصة وتابع) شكلك الآن أفضل بكثير.

وازاح بيده خصلات الشعر التي لامست خديها.

ـ ارفض ان تسخر مني يا سيد مانسل. ربما اكون بريئة ومتحفظة كما تعتقد ولكنني لا اريد ان اتطور على يديك كما اقترحت عليك شقيقتك...

ـ شكرا لاعلامي بما تنتظرين مني.

شعرت اليانور بالدماء الحارة تجري مسرعة تكسو وجهها وهو يمعن النظر فيها من اخمص قدميها لقمة رأسها ثم قال:

ـ شعوري بالشفقة نحوك تبخّر كليا... لا يمكنك ان تتكهني ببعض الامور على هواك. وانا مرتاح لانني لا استضيف ملاكا... ولا اريد ان اقع في التجربة.

فكرت اليانور بقساوة كلماته الجارحة... لقد ذكرها الآن بأنها ضيفة... وانها تكلمت اكثر مما يجب. صمتت تفكر بوضعها. وانقطع حبل الصمت بدخول فانيسا وهي تحمل صينية الشاي للجميع. قدمت لها فنجانا وشكرتها اليانور بتهذيب. قالت فانيسا:

ـ هل تتناول معنا الشاي يا ادوار؟

ـ يسرني ذلك. (دهشت اليانور لاستكانته السريعة لطلبها بينما غضبت اليانور لبقائه وتمنت لو اعتذر. اكمل ادوار كلامه:) فانيسا، لقد خلعت ضيفتنا القناع عن وجهها. رغبت ان تخدعنا لتجعلنا نعتقد انها فتاة قروية

خجوله... وبعد ان خلعت نظاراتها وقبعتها بانت على حقيقتها. لها رنة صوت موسيقية جميلة وهي ترطن بلهجة اهل الشمال (قال ساخراً) وعندما نسمع الموسيقى يختفي كل شر!

قالت اليانور لفانيسا: -

- شقيقك هو الذي يحاول ان يخدعك يا آنسة بكلامه هذا...

لم تفقه فانيسا الحوار الذي دار بينهما. شربت اليانور الشاي ببطء وهي تحاول التعرف على كل ما يدور حولها. وجدت من الصعوبة ان تصدق علاقة والدتها بآل مانسل. والدتها الزوجة المكافحة والمدبرة والتي تبذل جهدها لتجعل من مدخول زوجها المتواضع ما يكفي العائلة الكبيرة. كونستانس فارس وايف مانسل كانتا صديقتين حميمتين ولم تنقطعا عن المراسلة لسنين عديدة. ابقتا على صداقتهما منذ عهد الشباب وحتى الآن بالرغم من اختلاف طبقتيهما الاجتماعية... كانت ايف تدعو الفتيات الثلاث لزيارتها في بريوري ولكنهن لم يلبين دعوتها ابدا. وفي رسالتها الاخيرة الى زميلة الطفولة كتبت ايف مجددا لكونستانس تجدد دعوتها وتمسكت اليانور بهذه الدعوة كما يتمسك الغريق بطوق النجاة. كانت فرصة مؤاتية للهروب من مشكلة لا حل لها. بدأت تحضر نفسها لتلبية هذه الدعوة وتنتظر موعد السفر بفارغ صبر... وها هي الآن ضيفة في منزل بريوري تشرب الشاي في الشرفة مع ولدي ايف مانسل... وكانت بداية سيئة للغاية.

- هل تريدين فنجانا آخر من الشاي؟

- لا. شكراً.

- حسناً. سأحمل الصينية الى المطبخ ثم اعود لاريك غرفتك يا آنسة فارس. تعتذر والدتي لعدم تمكنها من الترحيب بك لانها مرتبطة باجتماع لا يمكن تأجيله.

وبعد ان خرجت فانيسا الى المطبخ، نظرت اليانور الى ادوار وقالت تعتذر:

- آسفة لما بدر مني!

- انت لست آسفة ابدا. لقد عشت لا تعرفين الا التصرفات الحميدة ولا يمكنك ان تتصرفي خلاف ذلك ابدا. انت تخافين ان يوسوس لي

الشيطان فأنقض عليك في عتمة الليل. . .
ضحكت اليانور من كلماته الخفيفة وقد وجدت نفسها تحن اليه وتغفر له بدلا من ان تكرهه. ابعدت نظراتها عنه وحاولت ان تغير مجرى الحديث وقالت:
- ما اجمل هذا البيت، وما اجمل حديقته. المناظر المحيطة بالمنزل خلابة. . . . .
ثم اضافت بتوتر ظاهر:
- مهما كان تفكيرنا في بعضنا. . .
- نعم. يسرني ان اسمع رأيك بي بعد معرفتنا القصيرة. . . ربما لن تطلعيني على رأيك الصريح الآن. ولكن لا بأس. لدي شعور بأنك ستخبريني رأيك مع الوقت. . .
- انت فاسد تماماً!
- نعم. انت على حق! هيا انك تتمتعين بروح مرحة ولا يمكنك ان تبقي جامدة ومتكلفة لفترة طويلة. لقد لمحت ابتسامتك وهذا ما شجعني على التمادي في الحديث. (وقف امامها واكمل كلامه) هل نتفق على نسيان هذه البداية الخاطئة؟ اعتقد انك تحتاجين للراحة قليلا وغدا تعتادين علينا وربما ترين الامور على حقيقتها وتتناسين ما حصل.
- هل تفرض نفسك دائما على الفتيات يا سيد مانسل؟
- تقريبا. ربما هنا يكمن الخطأ. . . وفانيسا شابة طائشة ولكنها ليست خبيثة. ربما ستجدين فيها صديقة ممتعة لو حاولت كسب صداقتها. انها تدعوك الآن لتريك غرفتك. . . بالمناسبة اسمي ادوار وعليك ان تخاطبيني به وتتركي الشكليات جانباً. لن تجدي صعوبة في ترديده. . .
- لا! انه اسم سهل. (قالت ببراءة) لدي ضفدع صغير أربيه واسمه ادوار. (ابتسمت له ابتسامة صادقة ووقفت لتذهب الى داخل المنزل)
- لحسن حظي انني لم اكن حية. . .
ديفي هي الطباخة ومدبرة المنزل منذ سنوات عديدة في خدمة آل مانسل. كانت تتألم من وجع ضرسها يوم حضرت اليانور. احبتها ووجدت في دفء قلبها وحنانها تعويضا عن حنان والدتها الذي افتقدته منذ غادرت البيت. وقد بادلتها ديفي شعورها الحنون وشجعتها على زيارة المطبخ كلما

رغبت. أما زوجها سام فهو يقوم على خدمة الحديقة والمزروعات والاهتمام بالمصانين ويستطيع التنبؤ بأحوال الطقس ببراعة ودقة.

وجدت اليانور في المكتبة المرصوصة بالكتب العديدة اكبر سلوى لها فترة بقائها في منزل بريوري. كانت تمضي الساعات جالسة في الكرسي الجلدي الكبير وهي تطالع روائع الكتب وتطرد عن نفسها الشعور بالملل او الوحدة. وعندما كان الطقس يسمح بالخروج كانت تتسلى اليانور بالرسم. ومن المؤسف انها لم تتوصل لصداقة فانيسا... كيف يمكنها ان تتقرب منها بعد ان سمعت رأيها الصريح يوم وصلت: انها ضيفة مضجرة... كانت فانيسا تعامل اليانور باحترام واستعلاء وبالتالي عزة نفس اليانور منعتها من استجداء رفقتها بالرغم من انها في عمر واحد - تكبر اليانور فانيسا بستة أشهر فقط وربما كان من السهل وجود بعض القواسم المشتركة بينهما...

جيمس مانسل هو رب العائلة ومؤسس شركة طيران مانسل للنقل الجوي. اشيب مهذب وصادق ومحترم، تقليدي في تصرفاته وقد وجدته اليانور لطيف المعشر وشبيهاً يشبه في شكله صورة الفنان اغوار الغار المعلقة على الحائط في قاعتهم في يورك.

ايف مانسل ربة المنزل سيدة محترمة تعيش حياتها من اجل الآخرين. انها معطاء في أعمال الخير والجمعيات والخدمات الاجتماعية، تركض ذهابا وايابا ثم تحضر في اوقات الطعام لتلتقي بقية افراد العائلة. ورحبت بوجود اليانور مهتمة بأحوال ضيفتها كي توفر لها المتعة إثناء اقامتها بينهم. كلما التقتها تذكرها بأنها تشبه والدتها كونستانس كثيرا وتظهر لها كل محبة والفة.

فانيسا شابة نشيطة كلها حيوية، جذابة فاتنة، شعرها بني قصير يحيط بوجهها المستدير بشكل لطيف. اصدقاؤها وصديقاتها كثيرون وشديدة الاناقة في ملبسها وتصرفاتها. وتجيد انتقاء الثياب لكل مناسبة. جسمها نحيل وصغير ومتناسق مما يساعدها في اناقتها... ومع كل ذلك كانت اليانور تشعر بأن فانيسا ليست سعيدة... ربما لأنها تحب فيليب نولان وهو لا يبادلها شعورها... وربما حالها مع فيليب يشبه حال اليانور مع غاي سلايد...

ادوار الحاضر الغائب. يأتي الى المنزل ويغيب عنه دون سابق انذار. لم تره منذ اليوم الاول. فأعماله كثيرة في المدينة، يدير شركة طيران ماتسل للنقل الجوي ولديه محل لبيع الاثريات تشغله شقيقته ووالدته الاهتمام به. حياته الخاصة بعد الانتهاء من عمله اليومي شأنه الخاص ولا احد يتدخل بها. من وقت لآخر تظهر صوره في المجلات الاسبوعية في صفحة الاجتماعيات بصحبة فتيات جميلات مما يؤكد انه ليس ناسكا عفيفا.

نظرتها الاولى اليه جعلتها تشعر كأنها طفلة صغيرة فهو صارم ومتعجرف وودت اليانور لو تبتعد عن طريقه قدر المستطاع لأن قربه يزعجها كثيرا ووجوده في المنزل يربك تصرفاتها. حين يحضر يشعر الجميع بوجوده لكنها لا تشعر براحة معه ولا ترتاح لصداقته. حاجباه كثيفان وسوداوان ومتباعدان ولا يطمئنان. اسمه ضمن لوائح الدعوات لمعظم حفلات المدينة فهو اعزب وفي الثلاثين من عمره، متزن ووقور ومحترم وفاحش الثراء... انه حلم كل فتاة في سن الزواج!

كانت اليانور ترسل رسالة الى اهلها كل اسبوع تخبرهم بأحوالها وتطمئنهم عن اخبارها. والدتها كونستانس تجيب دائما على رسائلها وتخبرها ثرثرات العائلة والقرية وتشرح لها الترتيبات لزواج شقيقتها؛ رسائل والدتها محببة ومليئة بالعاطفة الحقيقية التي تحتاجها في غربتها.

بعد ثلاثة اسابيع من وصول اليانور الى منزل بريوري، مساء يوم الجمعة، حملت رسالتها لتضعها في مركز البريد الذي يبعد قليلاً عن البيت. ارتدت اليانور معطفها ووضعت الرسالة في جيبها ومشت تحت الخطى... وفي طريق العودة وقفت فوق الجسر الصغير تحدق في ضفة النهر الاخرى وتتأمل الحياة على الجهة المقابلة في ضوء القمر. تذكرت اليانور النهر في قريتها وسرحت بذكرياتها وشعرت بحنين لمنزلها واهلها. فتشت في جيوبها عن منديل تمسح به دموعها. تذكرت المكالمة الهاتفية مع والدتها منذ قليل، تذكرت حنان امها، تذكرت بعد ذلك شقيقتها كاتي وهي تكلمها بحماس عن زفافها وتشرح لها بالتفصيل ثوب الاشبينة... ثوبها هي...

كانت لا تزال سارحة في افكارها حتى انها لم تلحظ وصول سيارة مسرعة كادت ان تدهسها... وتوقفت السيارة فجأة بعد ان مرت بها... خرج

شاب طويل اسمر من السيارة... وحين عرفته خافت من نظراته القاسية. انه ادوار. حاولت ان تعتذر لوقوفها فوق الجسر الضيق ولكنه لم يترك لها المجال لتتكلم بل قال:

- هذا الجسر غير مناسب لتقفي وتحلمي فوقه.

- آسفة لم يكن هناك خطر حقيقي... اليس كذلك؟

اخذ ادوار نفسا مسموعا كمن ضاق صدره ونفد صبره وقال:

- انا اعرف الطريق جيداً ولكن الجسر ضيق ومخفي تقريباً... ماذا كنت تفعلين؟

- اناجي الطبيعة.

- يمكنك مناجاة الطبيعة في مكان اكثر امناً في المرة المقبلة.

- لم اكن اعلم انك ستحضر في عطلة الاسبوع.

- انا لا اعلن عن تنقلاتي عادة.

مشى ادوار أمامها الى السيارة وفتح لها باب المقعد الامامي وقال:

- ادخلي الآن. آسف لأن المقعد الخلفي مليء بالاغراض.

- اوه. لا بأس ولكنني اريد ان امشي.

- كما تشائين. سيرافقك هيو الى البيت فالوقت متأخر لتمشي منفردة. في المرة المقبلة يمكنك اصطحاب احد الكلاب. (نظر الى صديقه يعرفها اليه وقال:) هيو هذه ضيفتنا اليانور فارس وهي تحب مناجاة الطبيعة...

- لا شك ان ذلك ممتع للغاية. (خرج هيو من السيارة ليمشي معها).

قالت اليانور بارتباك:

- لا حاجة... اؤكد لك.

امسك هيو بيدها برقة وقال في لهجة ودية:

- عندما يأمر ادوار نطيع يا آنسة فارس. كيف حالك هنا؟ انا هيو لاممير واستطيع ان اتمتم الحقيقة في اذنك: أنا مسرور جداً لأمشي برفقتك بقية الطريق.

ضحكت اليانور بسهولة ووجدت الحديث مع هيو ممتعا وقالت:

- اشكرك. (ابتسمت له ثم امسكت بذراعه وتابعت كلامها) هل ستمضي العطلة الاسبوعية معنا في منزل بريوري؟

ـ بل سأمضي اسبوعا كاملا في الراحة والاستجمام. استطيع هنا ان انسى مشاكل المكتب والعمل واسترخي في هذه الاجواء الممتعة وانا محظوظ لوجود صديق يستضيفني عنده مثل ادوار...

ـ هل انتما صديقان منذ زمن طويل يا سيد لاغمير؟

ـ منذ سنوات الدراسة الثانوية... وبما اننا ضيفان في هذا المنزل فاسمحي لي ان اناديك باسمك وانت ايضا عليك ان تناديني باسمي دون رسميات.

ـ حسناً.

لم يكن هيو شابا طويلا ولكنه يزيدها بقليل ويلبس نظارات طبية. املس الشعر وسهل المعشر ولطيفاً. سألها:

ـ اين انتهيت في تفكيرك؟

ـ هل بدا علي التفكير الجدي؟ حقا كنت افكر كم انتما مختلفان: اعني انت وادوار، مع انني لا اعرف ايا منكما معرفة جيدة...

ـ تعنين انه الشاب المصقول القاسي النظرات والأنيق الثياب وانا الشاب السهل المعشر والبسيط... انه تجاذب الاضداد. (نظر اليها متسائلا وقال) بماذا كنت تفكرين وانت تناجين الطبيعة...؟

ـ اشتقت لأهلي... تمنيت لو كنت فوق الجسر في قريتي يورك...

ـ انا اعرف المنطقة معرفة جيدة.

ـ هل تعرف راي دايل.

وشرعا في الحديث حول قريتها وعائلتها بسهولة وبساطة. قالت:

ـ والدي هو رجل دين يهتم بشؤون اربع قرى بالاضافة لقريتنا.

ـ تعيشين في بيت عائلي سعيد يصعب الابتعاد عنه... ولكن على الانسان ان يفتش عن شخصيته الحقيقية بعيدا عن العائلة وان يفكر في مستقبله واستقلاله... وانت تعيشين مع عائلة مؤلفة من ثلاث فتيات...

ـ نعم. مسكين والدي. عددنا كبير، مسؤوليتنا كبيرة. انا اكبر اخواتي. كاتي في الثامنة عشرة من عمرها بينما دوروثي في الرابعة عشرة.

وصلا الى الباب الخارجي لمنزل بريوري ونظرت اليه اليانور فزعة وقالت:

- لماذا تركتني اتكلم طوال الوقت. احتكرت الحديث وحدي ولم اترك لك فرصة لتتكلم عن عائلتك. فتح هيو لها الباب وانتظرها لتدخل. ابتسمت له شاكرة.
- هناك القليل يقال عن عائلتي. آل لاتيمير هم قلة في الوجود. هناك جدتي التي تعيش في ديفون. ولهذا السبب تراني متعلقاً بهذا البيت الكبير.
- العائلة تفترق بعد حين وهذا لا يمكن تفاديه فالامور تتغير. شقيقتي كاتي ستتزوج قريبا وستغادر المنزل العائلي وانا افكر في البحث عن عمل...
- ولكن الرابطة العائلية لا تنفصم بسهولة... ماذا ستعملين؟
- لا اعرف. انا لست مدربة على عمل معين اتقنه... وهذه هي مشكلتي. التحقت بكلية الفنون سنة واحدة واضطررت للتوقف عن دراستي بعد ان ألم مرض بوالدتي. عدت الى البيت لاشارك في اعباء المسؤولية. لم تكن تضحية من جانبي بل رغبت في مشاركة العائلة آلامها... شقيقاتي يصغرنني سناً وكن لا يزلن في المدرسة الاعدادية. ايقنت ان بقائي بعيدة عن البيت لن يفيد في متابعة دراستي لشدة قلقي على والدتي وانشغال بالي على سلامتها.
- وكيف صحتها الآن؟
- الحمد لله، استعادت كامل صحتها، منحوني فترة استراحة طويلة كي اتخذ القرار الصحيح لما اريده لمستقبلي.
- الا يمكنك متابعة دروس الرسم في كلية الفنون؟ هل لديك موهبة في الرسم؟
- ربما لدي بعض الموهبة ولكنها تحتاج للصقل، لم اهمل دراستي ابدا. كنت ارسم دائما بناء على توصية احد اساتذتي في الكلية، الذي اصر على رؤية رسومي باستمرار التي احترم رأيه فقد شجعني على المتابعة. وكما قلت لك ربما لدي موهبة ولكنها غير كافية في ميدان الفن حيث المنافسة على اشدها... اكتشفت انني لا اريد العودة الى الكلية من جديد. ولقد تغيرت عما كنت منذ سنتين...
- لا تستعجلي قرارك بعد. خذي الوقت الكافي للتفكير. (وقف امام الكلب قليلا وقال): علينا ان نترك المجال لسايكس كي يتعرف الينا ويقبلنا

كصديقين له. انا شخصيا افضل القطط واظن ان سايكس يشعر بذلك.
- انه كلب ضخم اليس كذلك؟ ولكنه متعجرف ولديه نظرة ارستقراطية وانا اجده مرعبا.
- صحيح. هناك شخص يؤثر عليّ بالطريقة نفسها.
- لدينا في بيتنا كلب صغير ويحب الدلال. سايكس لا يقبل بأي تدليل.
- انا افضل الكلاب المدجنة... الحياة صعبة بما فيه الكفاية فلماذا نزيد على انفسنا ضغطاً جديدا... احتاج لبعض المرطبات واتمنى ان يكون مضيفنا قد حضر لنا بعض المشروبات المنعشة. انه مضياف ويحسن التصرف دائما. (دخلا غرفة الجلوس يضحكان) استقبلتهما ايف مانسل مرحبة بشوشة وقالت:
- اهلا بك يا هيو (عانقته بحرارة ثم نظرت اليه تتفحص شكله واكملت) يبدو عليك بعض الشحوب... لماذا لم تزرنا في فصل الصيف الدافىء. لماذا اهملتنا تماما؟
قبلها هيو على وجنتيها وقال:
- تبدين فاتنة يا عزيزتي ايف كالعادة. كنت اثرثر مع اليانور منذ قليل وتذكرت زيارتي لهذا البيت لأول مرة... كنت صبيا نحيلا خجولا... وعندما وقع نظري عليك دهشت لجمالك الاخاذ. (ابتسم يخاطب اليانور) انها لا تزال فاتنة... كما رأيتها اول مرة.
- احب هيو... انه يرفع من معنوياتي ويساعدني على تحمل شيخوختي برضى. (وضعت ايف يدها حول كتف اليانور تخاطبها) لقد تقابلتما... على ما يبدو.
فتح باب القاعة ودخلت فانيسا قائلة:
- هيو. سمعت صوتك وحضرت لاراك. لم يخبرني ادوار بانك ستحضر لزيارتنا... تعال لاريك ماذا جلبت لك...
تبعها ادوار الى الغرفة وقال بقسوة:
- أعط الشاب المسكين وقتا قليلا ليشرب شيئاً منعشا يا فانيسا.
قالت فانيسا:
- ماما. ارجو ان لا تكوني قد اخبرته.
قالت ايف:

ـ لم اجد الوقت لذلك بعد يا عزيزتي. اجلس يا عزيزي هيو واسترح واترك أمر هذه الفتاة العابثة... (نظرت الى ابنتها واكملت) فانيسا اذا كان صبرك قد نفد فيمكنك احضارها الى هنا... ولكن انتبهي فانها سريعة العطب.

ـ اعرف ذلك. اذا حملتها الى هنا ربما تفسد يا اماه. لقد بذلت جهداً كي اضعها فوق الطاولة بأمان.

قال هيو:

ـ هيا لنراها هنا.

سكبت له فانيسا كأسا من عصير الفاكهة وقالت وهي تناوله اياه:

ـ تفضل. ربما تعجبك فتشتريها. (وضعت فانيسا يدها داخل ذراعه ودخلت معه.)

قالت ايف بعد ان غادرا الغرفة:

ـ فانيسا متطلبة في بعض الاحيان. ترى ما رأي هيو في تصرفاتها الخرقاء.

وجدت اليانور انها لا تستطيع ان تجيب عن سؤالها. وكذلك ادوار حمل الجريدة وبدأ يتلهى بالقراءة دون ان يعلق. قالت ايف:

ـ ولكنه يعرفها حق المعرفة ويفهم تصرفاتها... عليّ ان اجهز له غرفته. اعطني يا اليانور معطفك واستريحي. ادوار: ساعد اليانور لتتناول شرابا منعشا. (ابتسمت لهما وغادرت الغرفة).

ـ آسف. ماذا تشربين؟ هل تفضلين عصير البرتقال الطازج؟

ـ نعم. واشكرك. (فتحت كتابها لتشير الى انها لاتحتاج لمن يسليها بالحديث. ولكن ادوار تجاهل حركتها حين جلس في مقعده وطوى جريدته وسألها):

ـ ماذا تقرأين؟

ـ كتاب «منتصف آذار» ـ انه نسختك، انا آسفة. كان عليّ ان استأذنك قبل ان استعيره من المكتبة.

ـ يا فتاتي العزيزة. يمكنك ان تقرأي ما تشائين. انا واثق بأن كتبي ستلقى منك افضل احترام واحسن معاملة. (شرب قليلا من كأسه ثم اكمل) هل استقريت هنا يا اليانور؟

ـ نعم. شكرا يا ادوار.
ـ سعيدة؟
ـ نعم، اشكرك
ـ اليس الوقت متأخرا كي تتمشي وحدك؟
ـ ذهبت لاضع رسالة لأهلي في صندوق البريد.
ـ لقد تفاهمت مع هيو بسهولة كما يبدو.
ـ نعم. انه سهل المعشر والحديث... (ران صمت ثقيل... كانها تقول له على عكس الحديث معك. حاولت ان تغير الموضوع. سألته): هل لي ان اسأل ماذا تريد ان تريه فانيسا؟
عبس ادوار قليلا كأنه يفكر ثم قال:
ـ اعتقد انك كنت برفقتها عندما اشترت... ألم تذهبي معها الى مزاد هاكستد الثلاثاء الماضي؟
ـ لا... ربما كنت مشغولة بشيء آخر.
ـ فهمت. هيو يجمع علب العطوس (مواد تنشق في الانف كالدخان) ربما وجدت فانيسا علبة اثرية فاشترتها وهي الآن فخورة بعملها.
ابتسمت اليانور وقالت:
ـ اتخيل صديقك هيو محاطا بعلبه العديدة!
تخيلت اليانور ادوار الوسيم العازب محاطا بفتياته الجميلات العابثات يطلبن وده بدلال. سرحت بافكارها بعيدا وتنبهت فجأة اليه يحدق بها بشكل غير طبيعي.
ـ آسفة. هل كنت تخاطبني؟
ـ نعم. سألتك اذا كنت تهتمين بالاثريات او التاريخ؟
ـ اهتمام عادي... الجميع يعطون الفترة الرومانسية في التاريخ اهمية كبيرة في تقييمها الا تعتقد ذلك؟ اما انا فمسرورة لانني اعيش في هذا العصر الحديث.
ـ لم انتظر منك جوابا عمليا كهذا. هناك جمال خفي لكل حقبة زمنية. انا اتعامل في مهنة الاثريات. بعض الاشياء القديمة تذكرني بالجهد والعرق البشري الممزوج بالدم والدموع. الحياة مزيج من هذه الامور والمجنون فقط هو الذي ينتظر من الحياة ان تكون عادلة مع الانسان.

- هل علب المطوس نادرة الوجود؟
- بالمقارنه مع بعض الأشياء الاخرى استطيع ان اقول نعم. (قدم لها سيكارة ولكنها اعتذرت شاكرة. اشعل لنفسه واحدة وجلس ينفخها بسهولة وقد مد رجليه ليستريح.) قيمتها المادية تتوقف على نوع صناعتها ومن اي مادة مصنوعة. العلب المصنوعة من الذهب او الفضة والمحلاة بالاحجار الكريمة لها قيمة كبيرة. العلب المصنوعة من العاج او الاصداف او البورسلان قيمتها معقولة. والعلب المصنوعة من الخشب او المعادن المختلطة كالقصدير او النحاس فهي ليست نادرة لأنها تعيش فترة زمنية طويلة ولذلك قيمتها متدنية نسبياً، العلبة التي اشتريتها فانيسا مصنوعة من العاج ومزينة ببعض النقوش الذهبية وهي سريعة العطب ونادرة... (صمت قليلا ثم اكمل حديثه) اذن انت سعيدة هنا... ولماذا اذن كنت تبكين هذا المساء؟ (بدا قاسيا جدا في تعابير وجهه. نظرت اليه اليانور فزعة وقد فوجئت بسؤ اله فاكمل) لا يستحق اي رجل دموعك.

نهضت من مقعدها وقد احمرت وجنتاها ووضعت كأس الشراب بتأن وقالت:

- لماذا تعتقد ذلك؟
- يا فتاتي العزيزة. هذه هي الحقيقة الأكيدة... عندما نجد شابة تبكي في ضوء القمر فلا بد ان الرجل هو السبب... ولا يوجد رجل يستحق دموعك وكذلك لا توجد امرأة تستحق دموع الرجل بالمقابل.
- لا بد وانك تتكلم عن خبرة... اشكرك على نصيحتك وساتذكرها. (مشت خارجة)
- لماذا تهربين يا اليانور؟
- لا اريد ان ابحث في هذا الموضوع.
- اذن نغير الموضوع.

وقف ومشى الى الطاولة حيث كانت قد تركت ملف الرسم. فزعت اليانور وهي تراه يفتح الملف ويمعن النظر في رسوماتها المختلفة.

- هذا الملف لي...
- اعرف ذلك... ارجو الاّ يضايقك ذلك ولكنني القيت نظرة عليه قبل وصولك هذا المساء. (عاد يقلب الرسومات وهو يتمعن ويعلق قائلا) هذه

جيدة. انك تجيدين رسم الازهار البرية كثيرا. هل ترسمين فقط الزهور البرية؟

ـ لا... ولكن رسمها يجلب لي السعادة. (مشت لتأخذ الملف منه. لقد وصل الى قسم بالفحم) انا لا اجيد رسم الوجوه.

ـ لا تقولي ذلك. (امسك بصورة داني الطباخة) انها معبرة وتشبه الرسم الكاريكاتوري ولقد استطعت ان تظهري تعبير وجهها الحقيقية. وهذه؟ (حبست اليانور نفسها فزعة. لماذا لم تمزق تلك الصورة الملونة. كان ادوار يدرسها باهتمام بالغ) انها الشيطان... اذن هكذا ترين صورتي يا اليانور!

ـ ادوار... انا...

ـ هل حقا حاجباي بهذه الكثافة...؟

ـ طبعاً لا... الم تقل بنفسك انها رسوم كاريكاتورية. هنا كل شيء يبالغ فيه... (احمرت وجنتاها من الخجل والارتباك).

ـ هذا صحيح بالنسبة للمبالغة ولكن ماذا بشأن القرنين فوق رأسي؟

ـ اوه، اعطني الصورة ارجوك. (بدأت تحاول ان تسترجع الصورة من بين يديه ولكنها لشدة ارتباكها اوقعت الملف بأكمله على الارض وجثت على ركبتيها تجمع الصور المبعثرة... احست بصمت مفاجيء... نظرت اليه. توقف قلبها عن الضرب وهي ترى صورة غاي بين يديه. قال:)

ـ هذه صورة جميلة معبرة... انها ليست كاريكاتورية ايضا...

ـ اعطني رسومي ارجوك.

مدت يديها بتصميم وبدا الغضب واضحاً في تعبير وجهها مما جعل ادوار يذعن لمشيئتها ويناولها الصور.

ـ انا آسفة لصورتك... كانت وقاحة سافرة مني.

ـ لا تعتذري يا عزيزتي. ارى الآن كيف ترينني بوضوح. نظرتك لي نظرة سوداء بينما نظرتك الى الشاب الآخر... (مشى نحو الباب ثم اكمل) هل هو الشاب الذي ابكاك؟

لم تجبه اليانور. تركت الغرفة وهي تشعر بنظراته القاسية ترافقها. وعندما دخلت غرفتها اخذت صورة غاي من الملف وقطعتها ارباً ارباً بعصبية...

**في التغيير راحة من نوع معين يقول واشنطن ايرفينغ . . . الاّ ان ايليانور التي فتشت عن الراحة في تغيير نمط ايامها وجدت نفسها وحيدة مجروحة الساق على مفترق طرق . . . مع ذلك فان فانيسا بدأت تغير اسلوبها معها. وهنا بعض الخير!**

صباح اليوم التالي نزلت اليانور من غرفتها لتتناول فطورها فالتقت هيو على السلالم. توقفت قليلا وابتسمت له تحيّيه ورد لها تحيتها قائلا:
ـ صباح الخير يا اليانور. لقد اختفيت بسرعة مساء امس ولم اتمكن من ان اريك الكنز الجديد الذي اشتريته. تعالي الآن لاريك العلبة. . .
ـ شكرا يا هيو.
مشيا معاً الى القاعة المؤدية الى المكتب فقالت اليانور:
اذن قررت شراءها.
ـ لا شك عندي ابداً.
ـ وماذا تحب ان تفعل بالاضافة الى تجميع علب العطوس؟
ـ لا شيء غير عادي. . . عادة ارتاد المسارح والحفلات الموسيقية واحب

القراءة واستمتع بوجبة طعام جيدة مع الناس الذين احبهم. . . اتابع المباريات الرياضية. . .

- وتشتري العلب النادرة. نعم يا هيو. انها جميلة. (انحنت قرب الطاولة تتأمل العلبة المعروضة امامها. كانت صغيرة الحجم، وأصغر مما توقعت ومزدانة برسم لفتيات جسيمات وهن يضطجعن فوق السحاب كأنهن يسبحن في الفضاء.) انها فعلا علبة جميلة. (حضر ادوار الى الغرفة بينما كانت اليانور تبتسم بود الى هيو).

- ها قد وجدتكما اخيرا. صباح الخير يا اليانور. هل نمت نوما هادئاً؟

نهضت اليانور من مكانها وشكرته على اهتمامه. التفت ادوار الى هيو وقال:

- لدي مهمة في ويلز وعليّ الذهاب الى هناك لارى حصاناً. . . وقد اقترحت فانيسا ان نذهب جميعنا ونمضي النهار هناك.

قال هيو على الفور:

- فكرة صائبة. انت وفانيسا تتفحصان الحصان بينما انا واليانور نتسلى بامور اخرى.

قال ادوار:

- عال! هيا بنا الآن لتتناول الفطور ونبدأ رحلتنا.

مرّت الايام التالية سريعة. البرنامج احتوى الاربعة.

ووجدت اليانور نفسها يوم الاربعاء بشكل عفوي طبيعي

وحيدة في برنامجها اليومي، فشعرت بخيبة امل لانها لن تشاركهم تمضية يومهم كما اعتادت. كان على ادوار متابعة بعض الاعمال الضرورية. وبعد ذهابه سمعت اليانور فانيسا وهي تبحث عن هيو وتعلن انها ستزور برفقته بعض الاصدقاء في آستر. فهمت اليانور ان سيارتها الصغيرة لا تتسع لأكثر من راكبين. . .

الطقس دافىء واشعة الشمس خفيفة بعض الشيء وتستطيع ان تجد مكانا ظليلا تمارس فيه الرسم في الطبيعة الخلابة، لكن ما من وسيلة نقل. . . تذكرت انها شاهدت دراجة هوائية في البناء القديم من البيت، خرجت اليانور تبحث عن سام لتطلب مساعدته، لكنه لم يتحمس كثيرا للفكرة وقال:

ـ لا يمكنك يا آنسة اليانور استعمال هذه الدراجة القديمة فهي غير صالحة للاستعمال ولا آمن عليك من ركوبها.

ـ لكنني اعتقد انها سليمة واستطيع استعمالها بأمان. انها فقط مليئة بالعناكب والغبار.

ـ هذه العجلة للآنسة فانيسا وهي لم تركبها منذ اكثر من سنتين. دعيني اتفحص الكابح قبل استعمالها... ومع ذلك فانا لا اعتقد ان السيد ادوار سيروقه عملك.

ـ لا تخبره بالامر.

اخرج سام قطعة قماش بالية وبدأ ينظف العجلة بها ثم هزّ رأسه غير موافق وقال:

ـ الكابح جيد ولكن المقعد منخفض لقياسك، سارفعه لك. لماذا لا تطعمين الحصانين بينما اصلح لك الدراجة قدر المستطاع. انهما بانتظارك كل صباح كالعادة...

حملت اليانور بعض قطع التفاح من جيوبها ومشت وهي تضحك قائلة:

ـ لا يفوتك يا سام مراقبة اي شيء اليس كذلك؟

اقتربت من السور واقترب الحصانان منها. مدت يدها بقطع التفاح لهما واطعمتهما كل بدوره، ضحكت وهي تراهما يمرغان انفهما بكفها برقة شاكرين عطفها واهتمامها... عادت بعد ذلك الى سام ووجدته يحشو غليونه ببعض التبغ. سألها:

ـ هل انت معتادة على الخيل؟

ـ ليس بالتحديد. لي صديق فلاح يسمح لي بامتطاء حصانه بعض الاحيان. ولكن حصانه لا يقارن بهذين الحصانين الجميلين. راقبت ادوار وهو يمرنهما صباح كل يوم من نافذة غرفة نومي... انه يجيد ركوب الخيل.

ـ اليك الدراجة. اصلحت ما امكنني في هذه الفترة القصيرة. وضعت قليلا من الزيت ونفخت لك العجلات لكنني اكتشفت ان الجرس معطل...

ـ لا تهتم لهذا الامر. سأصرخ عندما ارى شخصا يعترض طريقي.

وضعت ملف الرسم خلفها على المقعد وثبته جيدا.

ـ من الافضل ان لا تبتعدي كثيرا يا آنسة اليانور.

- حسناً. لن ابتعد. لا تقلق بشأني لقد تربيت منذ صغري على ركوب الدراجات.

النسيم خفيف والطقس مناسب لركوب الدراجة. كانت اليانور متفائلة للغاية وابتعدت اكثر مما يجب. وحين وصلت الى مكان ظليل توقفت وحملت ملف الرسم وبدأت ترسم. احضرت معها سندويشات اعدتها لها ديفي تناولتها في فترة الغداء ثم وجدت عليقة من الكرز البري لم تستطع مقاومة اغرائها فراحت تقطف ثمرها وتستمتع بطعمه اللذيذ. نسيت نفسها وتأخرت في العودة حتى اكتشفت ان الشمس قد مالت نحو المغيب.

اقفلت اليانور معطفها وهي تشعر ببعض البرودة واعتقدت انها ستدفأ بعد ان تدور الدراجة قليلاً. وما ان سارت في طريق العودة حوالى ربع ساعة حتى سمعت صوت عجلة الدراجة يفرقع بصوت مرعب.

- اللعنة! انني بعيدة عن منزل بريوري ولا مفر من السير وانا ادفع الدراجة امامي.

سارت فترة طويلة قبل ان تحس الما في كعب رجلها اليمنى. وكانت قد اقتربت من التقاء الشارع الفرعي بالشارع العام، تابعت سيرها حتى وصلت الى المفارق. وضعت دراجتها قرب اشارة الطريق وجلست على العشب وخلعت جوربها وحذاءها لترى ما حل بكعب رجلها المتألمة. وجدت جرحا كبيرا. فاخرجت منديلها وربطت به رجلها قدر المستطاع ثم لبست جوربها وحذاءها من جديد... كانت لا تزال في مجلسها حين وقفت سيارة خاصة قربها. رفعت نظرها لترى ادوار يخرج من سيارته وهو يمشي نحوها. وقال:

- ماذا تفعلين هنا بحق الشيطان؟ اعتقدت انك برفقة فانيسا وهيو...

- لم اذهب معهما!

- ارى ذلك. الم تخبرك فانيسا ببرنامج هذا اليوم؟

- سمعتها ولكنني فضلت ان اقوم برحلة اتمتع بها وحدي على سبيل التغيير.

- انت تستمتعين كثيرا الآن... من اين احضرت هذه الآلة الغريبة الشكل؟

- وجدتها في البناء القديم وقد ساعدني سام...

ـ كان عليه الاّ يسمح لك بركوبها!
ـ لم يكن بيده حيلة. لا تتحامل عليه. الغلطة ليست غلطته. اراد ان يستأذنك ولكنني طلبت منه ان لا يفعل. لقد نبهني كي لا ابتعد كثيرا من اجل العجلات ولكنني...
ـ لن الوم المسكين سام بل اشفق عليه. ربما لم يستطع ان يرفض طلباتك وانت تنظرين اليه نظراتك الفاتنة تلك. (نظر الى ساعته) لا وقت لدي. لاعود بك الى المنزل وعليك ان ترافقيني.
ـ لا تهتم لأمري يا ادوار. استطيع العودة بسهولة. كان من الممكن ان لا تراني...
ـ ولكنني رأيتك وانتهى الامر.
حمل الدراجة ورمى بها في السهل.
ـ ماذا فعلت؟ انها دراجة ممتازة...
امسك بها ادوار وساعدها على الوقوف ثم قادها بحزم الى داخل السيارة.
ـ ربما يسرقها احد!
ـ يا فتاتي العزيزة، لا احد بكامل قواه العقلية يمكن ان يسرقها ولكنني سارتب امر نقلها الى المنزل. ادخلي الآن...
دخلت وقد حملت ملف الرسم بيدها. اخذه ادوار من يدها بلطف ثم وضعه في المقعد الخلفي وادار محرك السيارة واكمل سيره مسرعاً.
ـ آسفة لازعاجك (نظر مرة ثانية الى ساعته) كنت سانتظر مرور شاحنة واطلب من السائق ان ينقلني بطريقه.
ـ ولماذا لم تتركي الدراجة ـ بالطبع في مكان أمين لئلا يسرقها احد ـ وتركبين الباص عائدة للبيت؟
ـ لانني لا احمل... فلو...
ـ فلوس؟ كم انت فتاة غريبة الاطوار؟
ـ في قريتنا، لم اكن لاهتم لهذه الامور... دائما كنت اجد من يعرفني ويساعدني في العودة الى البيت، في حالة مماثلة.
ـ ولكنك لست في بيتك الآن!
ـ هذا صحيح غير انك جئت لمساعدتي...

- اذن. افهم ان فانيسا لم تطلب منك مرافقتها؟
- لم يكن الامر هكذا . . . ثم لا يوجد مكان لي في سيارتها الصغيرة.
- هراء! سيارة والدتي في الكاراج. . .
- ولكنها تعرف ان لدي مشاريعي الخاصة لهذا اليوم.
- هل جلبت معك زهرة برية لرسمها؟
- انت لا تستطيع ان تقلع النباتات البرية دون اذن خاص من المالك. بعض الاجناس يمنع القانون قطعها لانها في طريق الانقراض.
- لم اكن اعلم ان الامور بهذه الاهمية!
- دائماً يتخذون القرارات الضرورية بعد ان يتفاقم الوضع وتصبح معالجته من الامور الصعبة. . . الى اين سنذهب. ارى اننا دخلنا مطارا خاصا.
- نعم. (فتح النافذة ليتكلم مع شخص يرتدي ثيابا بيضاء) آسف لتاخري.
- اعتقدت ان الامر قد انتهى سيد مانسل. هل هذه الرزمة لي؟ (اشار الى المقعد الخلفي والرزمة الموجودة فوقه).
- نعم. سأوقف السيارة الآن وافسح لك المجال لتحملها (نظر الى اليانور وقال:) لن أتأخر. هناك شخص ينتظرني. (حمل الرزمة وناولها للرجل ثم فتح لها باب السيارة لتخرج).
- هل سنعود الى البيت؟
- بعد ان اجتمع مع شخص رتبت لقاءه هنا في النادي. سنرتاح قليلا.
- أنا لا البس ما يليق بالنادي واستطيع ان انتظرك في السيارة.
- لا تكوني سخيفة. لن يلتفت احد لما نلبس.
مشت معه وهي مرتبكة وحاولت ان تتكلم معه بأي شيء. قالت:
- اعتقد انك تستطيع ان تقود طائرة ايضا.
- نعم. ساصحبك معي يوما برحلة جوية.
- او و. . . ربما. . .
- سأخبرك يا اليانور فارس انني اقود الطائرات منذ ان كنت في السابعة عشرة من عمري وانا اؤكد لك سلامتك ان ركبت طائرتي «الشيروكي» اكثر بكثير من سلامتك وانت تقودين الدراجة. . .

ـ حسناً. اقبل دعوتك لئلا يقال انني اخاف ركوب الطائرة.
ـ احياناً اعتقد انك لم تعاقبي في طفولتك بما فيه الكفاية.
كان ادوار ساخرا وهو يطلب لها شرابا منعشا بعد ان اجلسها على طاولة جانبية في طرف القاعة. وبعد قليل رأى شخصا في المدخل فاعتذر منها وذهب.
كانت اليانور تفكر في نفسها قائلة: لا شك انه قائد طائرة ماهر كما وانه يجيد ركوب الخيل وقيادة السيارة بسرعة خفيفة. كان ادوار شخصا يرتاح الانسان برفقته ويشعر بالاطمئنان. وبعد فترة لحظت فتاة تدخل النادي وتسير باتجاه ادوار. اتجه هو ايضا من مكانه لملاقاتها. لم تدهش اليانور بقدر ما خاب املها. ولكن ذلك متنظر... اجمل فتاة في النادي لا بد وانها صديقته. قالت في نفسها: كان عليه ان ينذرني بانه سيلقى فتاته... ربما كنت بقيت انتظر في السيارة... تكلم معها ادوار لفترة وجيزة ثم جلبها معه الى الطاولة حيث تجلس. لم ينفع قول والدها المأثور: ان الطيور ذات الريش الاملس ليست طيورا جيدة بالتحديد... هذه فلسفة ليست مقبولة الآن. فالفتاة، جذابة، انيقة مغناج وهي تتيه بجمالها. راقبت اليانور اقترابها بقلب موجع وحسرة ظاهرة. قال ادوار:
ـ اليانور اقدم لك صديقتي فيليسيتي مادوك. فيليسيتي هذه اليانور فارس ضيفتنا من يورك.
افسح ادوار لها كرسيا وجلست عليه برشاقة. كانت فيليسيتي اجمل بكثير عن كثب. شعرها اشقر لامع ولها عينان خضراوان نفاذتان ورنة صوتها دافئة محببة قالت فيليسيتي:
ـ يورك؟
رددت الكلمة كأنها اسم لمدينة في المريخ. بدت اليانور مدهوشة من طريقة فيليسيتي بالكلام ولم يتحسن شعورها وهي تراها تبتسم لها وتقول:
ـ هل تقنعين ادوار بالبقاء هذا المساء يا آنسة فارس (نظرت بعد ذلك الى ادوار قائلة) لقد وعدتني يا حبيبي...
ابتسم ادوار ابتسامة باهتة وهز رأسه غير موافق وقال:
ـ قلت... ربما...
ـ ولكنك هنا... وانا متأكدة من ان الآنسة فارس ستستمتع بوقت

طيب...
- لا نستطيع ان نبقى ولكنني سأكفر عن خطيئتي بقضاء امسية معك الاسبوع المقبل يا فيليسيتي.
- هذا وعد اكيد منك يا حبيبي...
- نعم. (نظر الى اليانور وسألها:) هل انت جاهزة؟
كانت اليانور اكثر من مستعدة ووقفت للحال.
قالت فيليسيتي:
- هل تعتقد ان الحصان جيد؟
- انه مناسب (نظر الى اليانور يشركها بالحديث) نتكلم عن الحصان الذي عايناه في ويلز هذا الاسبوع.
- هل تجيدين ركوب الخيل يا آنسة فارس؟
- نعم.
كانت تكذب... واحمرت وجنتاها على الفور ومشت نحو الباب مسرعة. نظر اليها ادوار نظرة قاسية وهو يفتح باب السيارة ولكن الصمت بقي مخيما... واخيرا تكلمت اليانور:
- انا آسفة. لقد افسدت عليك امسيتك.
- هذا غير صحيح.
نظرت الى وجهه لترى تأثير كلماتها عليه. بدا هادئا متوازنا كعادته.. كأن شيئا لم يكن.
- لو تؤنبني... وتعترف بأنني افسدت عليك امسيتك لكان ذلك يريحني.
- آسف. ليس في نيتي تأنيبك... لانني لا اشعر بأي شيء من هذا القبيل... ماذا يزعجك الآن؟ ماذا يدور في رأسك يا اليانور؟
- لو كنت اعلم انك على موعد مع الآنسة مادوك لما جئت معك بأي حال... كان باستطاعتك ان تضعني في الباص لأعود...
- ولكن لم يكن في نيتي البقاء هنا هذا المساء. لا تحزني وتلومي نفسك.
هناك سيارة مسرعة خلفهما. كانت السائقة تطفىء النور ثم تضيئه ولوحت بيدها له وكذلك فعل ادوار. اطفأ النور ولوح لها بيده مودعاً. اختفت السيارة بعد ذلك.

ـ الظاهر ايضا ان الآنسة مادوك غادرت النادي.
ـ هذا واضح.
ران صمت بينهما ثم تكلم ادوار بعد ذلك قائلا:
ـ لماذا لم تخبريني ان باستطاعتك ركوب الخيل؟
ـ لم تسألني؟
ـ وكذلك لم اسألك اذا كنت تركبين الدراجة ام لا وهذا لم يمنعك من ركوبها.
ـ هذا يختلف.
ـ لماذا لم تطلبي ركوب الخيل؟
ـ لأنني لا اجيد ركوبها كما ادعيت. كان ضربا من الحماقة ان أدعي معرفة ركوب الخيل. ربما صحيح قولي انني اعرف ركوب الخيل ولكنني فعلا لا اجيده... وكنت لا اريد ان ابدو جاهلة في نظر الآنسة مادوك...
ـ افهم مرادك... فيليسيتي تجيد ركوب الخيل وتعتبر ذلك فخرا ولمتيازا طبقيا معينا.
وصلا في السيارة الى مدخل البيت. اوقف ادوار سيارته امام الكاراج. قالت اليانور:
ـ ربما تستطيع فيليسيتي ان تقود طائرة ايضا!
لم يكن هناك نور يضيء المدخل. امسك ادوار بذراعها وقادها الى البيت وهو يقول:
ـ نعم. انها فعلا تقود الطائرة.
ـ وهل تستطيع قيادة كل شيء؟
ـ ربما لا تعرف قيادة الدراجة؟
كان ادوار يمزح. بدا كلامه هزليا للغاية. ضحكت اليانور وتمتمت قائلة:
ـ اشكرك يا ادوار لانقاذك اياي. لا استطيع ان اشكرك بما فيه الكفاية...
قال بصوت ساخر وهو يمسك بيدها قائلا:
ـ سأقبل شكرك اذا اجبتني ما الذي صبغ اصابعك هكذا؟
نظرت اليانور الى اصابعها باستغراب... كانت تستعمل الاقلام

الملونة في رسومها ولكن هذا اللون ليس من الاقلام. . . تذكرت الكرز البري وضحكت كثيرا وهي تقول:

ـ كنت آكل بعض الكرز البري. . .

لامس ادوار ذقنها بيده الرقيقة ورفع رأسها وقال:

ـ انت حقا ابنة الطبيعة. . . اليس كذلك؟

لدقيقة اعتقدت اليانور انه سيعانقها. . . حبست انفاسها بعد ان تسمرت عيناها في عينيه. . . . ثم قال اخيرا:

ـ هيا الى المطبخ وتناولي بعض الطعام. لا تستطيعين العيش على الكرز البري طويلا.

هرعت اليانور الى داخل المنزل مسرعة. . . وبعد ان تناولت بعض الطعام صعدت الى غرفتها وآوت الى فراشها باكراً.

في صباح اليوم التالي دخلت فانيسا غرفة اليانور في زيارة ودية غير منتظرة.

قالت:

ـ اشكرك لأنك اخفيت حقيقة ما حصل عن ادوار.

مشت الى النافذة وهي تشاهد المطر المنهمر بغزارة واضافت:

لم اكن لألومك لو ثرثرت معه عني. انا اعلم انني لم اتصرف كما يجب. منذ حضورك الى هنا وانا اعاملك معاملة سيئة. انا آسفة لذلك.

ـ لقد فرضت عليك فرضا منذ البداية.

كانت اليانور ترشف فنجان الشاي الذي حملته لها فانيسا.

ـ صحيح. ولكن كان باستطاعتي ان اتصرف بطريقة اكثر لباقة وتهذيباً. شقيقي ينعتني بالانانية وهو محق في قوله. انت تصرفت دائما بتهذيب واخلاق حميدة. لم احاول ان اقدم لك صداقتي. سامحيني. . . يعتقد ادوار انك صديقة ممتازة لي. . .

ـ أرفض ان اكون كالدواء الشافي. . . هل كان ادوار فظاً معك؟ لا اريده غاضبا.

ـ كان بامكانه ان يجرحني. . . ولكنه عادل في حكمه. وانا لا اتذمر من تصرفاته معي. انه شقيق عطوف وهو دائما بجانبي. . . لقد علمني قيادة السيارة بصبر فائق. . .

ـ لقد التقاني البارحة صدفة...
ـ كان يعرف مسبقا ما الذي سيحصل ولكنه تمنى ان احسن التصرف واكون متعقلة واحس بسؤ وليتي...
ـ هل انزعج لانني افسدت عليه امسيته الليلة الماضية.
ـ اوه... وكيف؟
ـ كانت الفتاة الشقراء الفاتنة، فيليسيتي مادوك، قد رتبت امرها للقائه. كانت تتمنى لو تتخلص من وجودي بطريقة سحرية...
ـ صحيح. (ضحكت فانيسا) انها من اكثر المعجبات حماسا بادوار. هي تلاحقه بالحاح. لقد علمها قيادة الطائرة. باعتقادها انها تملكه... هل سمعت بمصانع آل مادوك. انها الحفيدة... ووالدتي تتمنى ان يتم الزواج. انا لا اعتقد ذلك. ادوار كالحصان الاسود وهي واحدة من صديقاته الكثيرات. مسكينة والدتي فهي دائما تشعر بخيبة امل كلما رغبت في زواجه... يا الهي كدت انسى (اخرجت رسالة من جيبها وقالت) هذه رسالة لك... سيلعب هيو مع ادوار الغولف طوال النهار واعتقد اننا نستطيع الذهاب في نزهة بالسيارة. سنطلب من ديفي ان تحضر لنا بعض الساندويشات لنحملها معنا.
نظرت اليها اليانور معترضة:
ـ ولكن الطقس ماطر!
ـ لن يبقى ماطراً. لقد قال سام ان المطر سيتوقف بعد نصف ساعة فقط وهو عارف بهذه الامور.
انهت اليانور فنجان الشاي ثم فتحت الرسالة وقرأتها. وبعد نصف ساعة كانتا تتمشيان باتجاه السيارة. قالت فانيسا:
ـ سام دائما على صواب في امور الطقس.
ـ هل انت اكيدة يا فانيسا من رغبتك في هذه النزهة؟
ـ عادة انا لا افعل اي شيء الا لمصلحتي... اضحكي! ولكن هذه هي الحقيقة. في كل حال لا يقع اللوم علي وحدي... لقد تربيت على هذه الطريقة. انا لا اتذمر، ولكنني منذ صغري احكم رأيي في كل شيء اريده... قيل لي انني وشقيقي متكبران متعجرفان... ربما هناك صحة لهذا القول... انا لا اختلق الاعذار لتصرفاتي السيئة معك... انت

هنيئة المعشر طيبة القلب وانا اريد ان اتعلم منك الطبيعة الطيبة. آل مانسل لم يعتادوا المواربة او التخاذل واعتدت انا ان احصل على كل رغباتي بلمح البصر. هل تفهمين قصدي؟

- طبعا. لا لزوم للشرح.

- ادوار كان على حق حين قال انني استطيع ان اتعلم منك الكثير لو سمحت لي بصداقتك. ولكنني لا ارى ما ستكسبين انت من صداقتي بالمقابل؟

- اوه لا اعرف. (قالت مازحة) ربما سأحصل على سائق يقودني في حلي وترحالي.

شعرت اليانور ان القلوب بدأت تتقارب وكل منها افسحت مجالا للكشف عن حقيقة شعورها. وجدت اليانور ان فانيسا ليست عنيدة او قاسية كما يعتقدها الآخرون. انها صادقة وصريحة ولو كان في ذلك مساس بمصلحتها. قالت اليانور:

- بالمناسبة. كانت الرسالة من شقيقتي التي ستتزوج في نيسان/ابريل المقبل. (اخرجت اليانور الرسالة وقرأت) ستحضر الى لندن ليومين مع خطيبها من اجل تصريف بعض اعماله. وقد وجدت انها فرصة سانحة لترى لندن. حسب رسالتها، لقد وصلت البارحة. هي تقول ان باستطاعتي رؤيتها بعد ظهر الغد فخطيبها سيكون مشغولا في اجتماع عمل وتقترح علي زيارتها.

- فكرة جيدة. لدي عمل محدد في المحل لليومين التاليين. لماذا لا تحضرين معي. ربما نرتب امسية للسهرة معها. ربما نتناول عشاء ونشاهد مسرحية. سنطلب من هيو وادوار مرافقتنا. سيكون ذلك ممتعا.

- ربما لن يناسبها.

- سنطلب منها مرافقتنا واذا اعتذرا سنذهب دونها... ستكون نهاية اسبوع ممتعة من اجل هيو. سنذهب الآن الى رأس الخليج حيث نتناول غداءنا هناك ونشاهد الطوافات.

امضتا يوما سعيدا. جذور الصداقة بينهما بدأت تتعمق. وحين وصلتا الى البيت كانت سيارة ادوار قد سبقتهما الى المدخل. خلال العشاء تناولت فانيسا موضوع السهرة بطريقة عفوية. سألت ايف:

ـ تقولين ان خطيبها من آل سلايد! غاي سلايد! لم تكتب لي كونستانس عن خطوبة كاتي. انها شابة صغيرة في الثامنة عشرة من عمرها.
ـ لقد تمت الخطوبة بسرعة وقبل ايام قليلة من حضوري الى هنا.
قالت ايف:
ـ نحن نعرف آل سلايد يا ادوار. هل هي العائلة نفسها؟
ـ لو اعرف اين اتصل بالصهر العزيز لأرتب الامر معه وادعوه لقضاء السهرة.
قال هيو:
ـ ما اكثر معارفنا... نستطيع ان نتدبر الامر ونهيء امسية لائقة.
قالت اليانور:
ـ سهرة بسيطة تكفي.
قال هيو:
ـ ستكون سهرة ممتعة.
قالت ايف:
ـ اتذكر يا ادوار غاي سلايد ذلك الصبي الاشقر الوسيم. لديه سحر لا يخفى. هل انا على حق؟
نظرت الى اليانور تسألها. شعرت اليانور باهتمام ادوار وهو ينتظر جوابها. قالت اليانور:
ـ نعم. انه شاب أشقر ووسيم.
شعرت بحمرة الخجل تكسو وجهها رغما عنها. قالت ايف:
ـ لم يعد صبيا انه الآن في الخامسة والعشرين من عمره. اليس من غريب الصدف معرفتنا له. وجود فرح في العائلة شيء ممتع.
تنهدت وهي تنظر الى ابنها وابنتها وتتمنى لو يدخلا الفرح الى منزلها في أقرب فرصة. قالت فانيسا:
ـ ارجو ان لا نخيب املك... ربما سنفاجئك يوما ما ونتزوج معا!
قال والدها:
ـ ارجو اعلامي يا عزيزتي كي استطيع ان اتقدم بقرض من البنك لانني اعرف طريقة والدتك في البذخ والمصروف.
ضحك الجميع وفي صباح اليوم التالي نزلت فانيسا واليانور الى لندن

حيث يقع محلها في القسم الشمالي. قالت فانيسا:
- يحب ادوار ان يعيش بعيدا عن العائلة فهو يقطن في الطابق العلوي فوق المحل. ونحن نسكن في وسط المدينة.
- اين؟
- يقع المنزل بالقرب من سلون سكوار. وهو مكان فسيح. يعيش السيد والسيدة هكمان في الطابع السفلي ويقومان بالاهتمام بالبيت. لدينا ايضا شخصان يعملان بعض الوقت في المحل.
اوقفت فانيسا سيارتها وقالت:
- لقد وصلنا الى المحل انه في كامدن ميوز. سندخل من المؤخرة لان المدخل الرئيسي مخصص للمشاة. يعيش ادوار في الطابق العلوي. سأريك المكان فهو لن يمانع ابدا.
اعتبرت اليانور الدعوة مفاجأة سارة لها. كانت تريد ان تتعرف الى سكن ادوار الذي ربما يعكس صورته الحقيقية. . . لا الصورة التي يريد ان يظهره بها للناس. الغرفة الكبيرة الواسعة نظيفة واثاثها انيق ولكنها متزمتة وصارمة كشقة عازب يعيش منفردا. نزلت السلالم وهي تفكر في نفسها: انه يعيش عيشة صارمة. المحل غير عادي في اثاثه وموجوداته. غرفة كبيرة واسعة فيها كنوز كثيرة من الاثريات المرتبة بطريقة جذابة تزيد من قيمتها.
قرأت فانيسا لائحة التعليمات التي تركها ادوار ثم صنعت بعض القهوة وباشرت بمساعدة اليانور في تلميع الاثريات ومسح الغبار عنها. زبائن المحل في معظمهم من السياح. كانت اليانور ترافقهم في التفرج على المعروضات بكل تأن وصبر. معظم المحلات المجاورة اثريات او مكتبات. وحين وجدت اليانور بعض الفراغ دارت في الشارع تتفرج على المحلات المجاورة. تناولت غداءها بصحبة فانيسا داخل المحل في المطبخ الصغير. قالت اليانور:
- هل استطيع الاتصال هاتفيا بشقيقتي الآن؟. . .
اتصلت وسمعت شقيقتها تقول:
- اليانور؟ هل يمكنك موافاتي الآن؟
- نتقابل في حوالى الثانية بعد الظهر. اذا تأخرت انتظريني.
- سأنتظرك. لقد اشتقت اليك كثيراً.

سألت فانيسا:

ـ هل هناك اية مشكلة؟

ـ بدا صوت كاتي غريبا علي. شعرت كأنها تعاني بعض المشاكل.

ـ اليانور... بعد لقائك بشقيقتك عليك ان تعودي الى البيت في لندن. سابقى بانتظارك. هل شقيقتك كاتي تشبهك؟

ـ لا. (ضحكت) كاتي جميلة فاتنة... شعرها اشقر بلون سنابل الذرة الصفراء الناضجة. عيناها زرقاوان وجسمها متناسق. لم استغرب ان يقع غاي بحبها من أول نظرة!

ـ اتمنى ان يكون حبه لها يتعدى الشكل الحسن. فالشكل ليس كل شيء.

ـ اعرف ذلك وأنا واثقة بأن لديها مزايا عديدة اخرى. كاتي شابة يافعة ولكنني متأكدة بانها ستكون زوجةوفية لغاي.

ـ شقيقتك تملك مزاية ممتازة ولكنك ايضا تملكين عينين عسليتين وشعرا كثيفاً لامعاً واسنانك جذابة متناسقة ولديك سحرك!

ـ كأنك تقولين دعاية تلفزيونية!

مشت اليانور باتجاه محطة النفق وهي تفكر بالامسية... والسهرة المرتقبة. تحمست كاتي كثيرا لقضاء السهرة برفقتهم ومشاهدة المسرحية... رتب ادوار مع غاي ان يلتقي الجميع في الثامنة مساء. يشاهدون المسرحية اولا ثم ينتقلون بعد ذلك الى المطعم ليتناولوا وجبة العشاء.

تنهدت اليانور وهي تنزل من القطار المكتظ بالناس. بعد قليل ستقابل غاي وجها لوجه... كانت تتمنى لو انها ستقابله في مكان آخر... ليس في مكان عام، ومع الآخرين... وخاصة ادوار. لقد عرف ادوار شعورها نحو غاي، عيناه الزرقاوان لا يخفاهما شيء...

ستكون هذه الامسية من اصعب الليالي في حياتها...

## ٣ - «محال ان يقع الانسان في الحب ويبقى عاقلاً» يقول فرنسيس بايمون. . . مع ذلك ها هي اليانور تحاول وتكاد ان تفقد السيطرة نهائياً على نفسها، ذات مساء!

نزلت اليانور من القطار وفتشت هنا وهناك عن شقيقتها كاتي. واخيرا وقع نظرها عليها وجدتها وتأكد لها صحة حدسها من انها في مأزق. الطقس بارد برغم الشمس المشرقة، فلسعة هواء بارد تلفح وجهها وتجعلها تقلب ياقة معطفها الشتوي وتربط زنارها وتشده الى خصرها بحزم وتمشي مسرعة نحو كاتي.

تعانقتا بشدة واحست اليانور بقوة عناق كاتي لها اكثر من اي وقت مضى. مشتا في الشارع المزدحم المؤدي الى بايسواتر ثم شارع حدائق كينسنغتون ويداهما متشابكة ثم انعطفتا الى راوند بوند. كانت اليانور تستفسر عن العائلة فردا فردا وكاتي تجيبها بهدوء ووضوح.

- هل هناك ما يشغل بالك يا كاتي؟

وما كادت تسأل حتى شرعت كاتي بالبكاء على الفور. وضعت اليانور يدها حول كتفها بحنان وكررت سؤالها بلهفة ظاهرة:
- ما الأمر؟ هل هو غاي؟ هل هناك ما يكدر علاقتك به؟
هزت كاتي رأسها نفيا ولم تستطع الكلام. فتشت عن منديلها لتمسح به دموعها بينما تابعت اليانور اسئلتها من جديد.
- ما الأمر؟ اجلسي على هذا المقعد واخبريني...
انتظرت اليانور حتى هدأت شقيقتها من نوبة البكاء الهستيرية التي انتابتها... وبعد فترة قصيرة تمالكت فيها كاتي نفسها وبدأت تتكلم بصوت منخفض وببطء شديد وهي تتعثر بشهقاتها وتأوهاتها ودموعها. قالت:
- ربما بدوت غبية للغاية يا اليانور. لن تصدقي... وأنا لا استطيع طلب المساعدة من والدي ولا اعرف كيف اتصرف... انها غلطتي دون شك... تصرفت بغباء ولا اصدق انني فعلت ذلك... لا استطيع ان اخبر غاي... لا استطيع. احبه كثيرا... وهو يعتقد انني فتاة كاملة واحسن التصرف. لن اغفر لنفسي لو علمت والدته بالأمر... ماذا ستقول عني؟ هي لم توافق على خطوبتنا منذ البداية...
كفي عن الكلام يا كاتي وعن لوم نفسك. اهدئي اولا ثم افصحي اكثر عن الامر لأنني لم افهم بعد القصة... انا قربك وساساعدك بكل تأكيد ولكن علي ان افهم الامر... ماذا تخافين ان تعرف والدته؟
بلعت كاتي ريقها بصعوبة وبدأت تلف منديلها حول اصابعها بعصبية ظاهرة وقالت:
- فرحت جداً بهذه الفرصة التي سنحت لي للحضور الى لندن برفقة غاي... ارسلت السيدة سلايد والدة غاي في طلبي وقالت لي ان باستطاعتي ان اشتري بعض لوازم الجهاز من الثياب واسجل المبلغ على حسابها وتعتبره هدية منها بمناسبة الزواج. تقطن في لندن ابنة عم غاي، مارغو وقد اتصلت بها السيدة سلايد ورتبت معها الأمر وطلبت منها مرافقتي لانتقاء الثياب اللازمة. لم توافق والدتي على هذا التدبير ولكنني اقنعتها برغبتي في ذلك ورضخت للأمر الواقع وبأنني لن اتضايق من صحبة مارغو الى السوق رغم انني لا اعرفها ابداً. مارغو تكبرنا. هي في السادسة

والعشرين من عمرها. شابة جذابة وشديدة الاناقة في لباسها وقد احببتها على الفور بعد ان تعرفت اليها هنا. . لقد ضحكت كثيرا لكوني ازور لندن للمرة الاولى في حياتي. . . وفي النهاية تمتعت كثيرا برفقتها وسررت بمساعدتها لي في انتقاء ما يلزمني. . .

ـ هي. . . اكملي. وماذا بعد يا كاتي؟

ـ أخبرتك من قبل ان ثيابها انيقة وباهظة الثمن. اصطحبتني الى محلات هارود وانتقيت كل طلباتي من هناك. . . والظاهر انني فقدت السيطرة على توازني. . . وجدت نفسي اتصرف كأنني معتادة على هذا البذخ. . . وجودها معي وهي تساعدني احرجني. . . كنت فرحة مسرورة وانا اشتري اجمل الاثواب وكل من حولي يشجعني على المزيد من الشراء. كل يقول: «عليك شراء هذا الثوب. . .» ثم تردد مارغو «غاي سيحب هذا الثوب عليك حتما» نظرت لنفسي في المرآة وشعرت كأنني اصبحت فتاة اخرى غير التي اعرفها. . . وتحمست وجاريتها واشتريت دون وعي. بدأت الرزم تتكدس قربي وشعرت بعد فوات الاوان ان المجموع الذي صرفته يفوق الميزانية المحددة لي. حاولت ان اخبر مارغو بأنني تماديت في الصرف. . . ولكنها ضحكت ضحكة عالية واجابت: كلنا نفعل ذلك يا عزيزتي. . . اليس غاي سببا وجيها لتصرفي لاجله؟ شعرت بالغثيان ورغبت بالعودة الى الفندق. وهناك حسبت ما صرفت و. . .

ـ كم صرفت؟

ـ اكثر من ثمانين جنيها استرلينيا. اوه يا اليانور. . . ماذا سأفعل؟ انا لا استطيع ان اطلب مساعدة والدي. زواجي سيكلفه مبلغا كبيرا. . . ثم لن يعجبه تصرفي وسيشعر بخيبة امل فهو لن يخبرني بذلك ولكنني واثقة. . . انه يعتقد انني غير ناضجة بما فيه الكفاية لاقدم على الزواج وقد حاول اقناعي بذلك. كان دائما يقول ان الغرور رديء والجمال الخارجي لا يغني عن جمال الروح. . . وها أنا اتصرف بغباء. . .

استمعت اليانور الى شقيقتها وهي مشدوهة. . . ثمانون جنيهاً. . . افكارها مضطربة ومشوشة. حاولت جاهدة ان تحافظ على رباطة جأشها وتوازنها قبل ان تتكلم:

ـ هل نستطيع ان نعيد بعض هذه الثياب الى المحل؟

هزت كاتي رأسها نفيا وقالت آسفة:
- فكرت بذلك ولكن الامر سيبدو غريبا. مارغو تعرف ما اشتريت... ولقد سجلنا كل المشتريات باسم السيدة سلايد.
- هل انت اكيدة من اننا لا نستطيع ان نطلب مساعدة والدي؟ انه ليس غولا يأكلنا وهو متفهم للغاية.
- انا اكيدة انه سيفهم المشكلة ولكن همومه المادية تكفيه. مرض والدتي اثقل كاهله ونحن ثلاث فتيات وتدبير امورنا عمل شاق. ثم لا تنسي دوروثي شقيقتنا الصغرى فهي تحتاج المال لدخول الجامعة، انها ذكية ومن المؤسف الا تتابع دراستها الجامعية.
بدأت دموعها تنهمر على خديها دون توقف.
- وماذا بشأن غاي؟ الا يحبك يا كاتي؟
- انه يحبني كثيرا... ولكنني لا استطيع ان اطلب منه مالا قبل الزواج. وانا لا اريد ان اثير شكوك عائلته حولي. انهم لم يوافقوا على زواجه مني... ولا اريد ان ابدأ حياتي الزوجية بصفحة سوداء... اريد ان ابدأ حياتي بصفحة نظيفة. هل تفهمين قصدي؟
- نعم. افهمك جيدا.
- هل لديك بعض الحلول؟
- فكرة او اثنتين ولكن علي التفكير قبل ان اتكلم... جففي دموعك الآن يا كاتي... لا اريدك ان تعودي الى خطيبك وانت على هذا الشكل.
- اشعر انني افضل بكثير بعد ان اخبرتك مشكلتي انت افضل شقيقة في الوجود. لقد اخبرت مارغو عنك الكثير وهي تنتظر مقابلتك هذا المساء. (ابتسمت ونظرت اليها نظرة تعجب) عندما اتصل ادوار مانسل بغاي الليلة الماضية ليدعونا الى السهرة اكتشف انه يعرف آل سلايد. اليس ذلك مفرحاً؟ قال ادوار انه يعرف مارغو وان بعض الروابط العائلية تجمعنا.
- قالت السيدة مانسل انها تعرف آل سلايد... علينا ان نرتدي اجمل الثياب هذه الليلة. علينا ان نظهر فتنة وجمال فتيات يورك واننا نستطيع ان ننافس جمال واناقة فتيات لندن.
- سألتني مارغو عن علاقتك بادوار مانسل... اعتقد انها تميل اليه (نظرت نظرة سريعة الى شقيقتها قبل ان تكمل) اخبرتها انك على معرفة

وثيقة به . . .

ـ لماذ قلت ذلك يا كاتي؟

ـ طريقة مارغو في التهكم علينا، كأننا نعيش في الارياف. . . متخلفين. . . او كأننا ابناء عمها الفلاحين. . . تفهمين؟

ـ نعم افهم. . . وماذا ايضا؟

ـ لا تغضبي مني يا اليانورا قلت انك تعرفين آل مانسل من سنوات عديدة. اليس ذلك حقيقة؟ ان والدتنا تعرفهم منذ كانت شابة وقبل ان تتزوج وانت عشت معهم الآن اسابيع. . . الست صديقة؟

ـ سلمت جدلاً . . .

ـ اقصد. . . الا يمكنك ان تقولي ان ادوار صديقك؟

ـ نحن لسنا عدوين؟

ـ اذن نحن متفقتان. . . اخبريني قليلا عن ادوار وفانيسا؟

رأت اليانور ان تسري بعض الشيء عن شقيقتها المهمومة وتبعد افكارها عن الثمانين جنيها ومشكلتها. قالت:

ـ فانيسا شابة صغيرة فاتنة وجذابة. صغيرة الجسم شعرها قصير مجعد. انها لطيفة ودنها نشاط وحيوية. يخيل اليك لأول وهلة بأنها سطحية التفكير ولكنها ليست كذلك. انا احبها كثيرا.

ـ اوه. انها تخيفني. . . وماذا عن ادوار؟

ـ انه شاب منكمش على نفسه. يتمتع بثقة كبيرة بنفسه. اعتقد انه قاس ولا يحس بآلام الآخرين.

ـ ربما هو غير الشخص الذي تعرفه مارغو. . . هي تقول انه وسيم وانيق ويرتدي افخر الثياب، شديد الاناقة ويعرف ماذا يريد وغالبا ما يحصل عليه.

ضحكت اليانور كثيرا وقالت تؤكد لها:

ـ نحن نعرف الشخص نفسه. انه ادوار مانسل بعينه.

ـ في الثلاثين من عمره. عازب!

ـ ليس الزواج امرا هاما في حياة كل انسان. . . ولا تنقص ادوار صحبة النساء.

ـ نعم. هو كذلك. وانا لا اريد ان اقع في شباكه. . . مع انه جذاب

ورفقته ممتعة.

- اتمنى ذلك... من سيحضر معنا الى الحفلة ايضا؟

- هيو هو صديق ادوار. انه ليس طويلا ولا وسيماً ولكنه طيب المعشر ولطيف.

- هل آل مانسل لطفاء؟

- ليس تماماً. ولكنهم ليسوا بسطاء ايضا.

- اتمنى لو اني لم اسأل عنهم... انني خائفة من لقائهم.

ضحكت اليانور وهزت كتفها غير مبالية وقالت:

- اشعر ببعض البرد. هيا بنا.

شبكتا ايديها وركضتا الى حيث افترقتا اخيرا كل في سبيلها.

منزل آل مانسل في المدينة مؤلف من ثلاث طبقات فوقها قرميد. فتح الباب السيد هيكمان الذي كان بانتظارها. تبعته اليانور الى اعلى وكان يخبرها ان فانيسا اتصلت بها هاتفيا. قادها الى غرفة نومها حيث وجدت حقيبتها قرب النافذة. قال:

- لقد حمل لك الحقيبة السيد ادوار وقال ان السيد هيو سيمر لاصطحابك في السابعة والنصف. الآنسة فانيسا ستذهب الى المسرح بعد ان تنتهي من عملها في المحل. اقترح عليك يا آنسة فارس بعض الشاي لأن العشاء سيتأخر.

- أشكرك.

احضر لها السيد هيكمان بعض الحلوى والشاي. لم تكن فكرة الطعام تروق لها ولكنها اجبرت نفسها على تناول بعض الحلوى مع الشاي الساخن.. كانت لا تزال تفكر بالثمانين جنيهاً... نظرت الى وجهها الشاحب في المرآة وقالت لنفسها: يجب ان انسى المشكلة لهذه الامسية لئلا تفسد سهرتي برمتها. لم تستطع اليانور ان تبعد المشكلة عن رأسها، فكلما امعنت في التفكير تبين لها جليا ان على شقيقتها اخبار خطيبها غاي بالامر وهو سيتصرف... ولكن كاتي أكدت لها انها لن تخبره وليس باستطاعتها ان تجبرها.

قالت اليانور في نفسها: لو كنت مكان شقيقتي كاتي، هل كان بامكاني ان اخبر خطيبي بمشكلتي؟ هل ساتصرف مثلها؟ تنهدت... لا! اريد ان

اعتقد ان بامكاني فتح قلبي للرجل الذي احب واخبره بكل شيء. ليس من المعقول ان امضي عمري مع رجل اخفي عنه اي شيء...

تمددت فوق السرير ترتاح قليلا قبل موعد الاستعداد للسهرة. وبعد قليل شرعت تستعد للسهرة. طلت وجهها بطبقة خفيفة من المساحيق في محاولة لاخفاء شحوبها وقلقها. ابتسمت لنفسها ابتسامة راضية وهي تنظر الى المرآة... ستخفي كل متاعبها الآن... ثوبها الرقيق الناعم المحلى ببعض الكشاكش فوق الاكتاف لونه برونزي غامق مما اضفى على شعرها بعض اللمعان. سرحته بفرشاة قاسية وتركته ينسدل حول وجهها كالهالة المستديرة. شكلها الخارجي مرضي وهذا ما سيساعدها كثيرا للتغلب على مشاكلها الداخلية المقلقة.

وصلت اليانور برفقة هيو الى المسرح مرّ لقاؤها بغاي بسلام. تعارف الجميع وتبادلوا الكلمات المعتادة. بدت مارغو سلايد جذابة وبراقة تخطف الابصار ولكن اليانور وجدت نفسها تكرهها منذ النظرة الاولى. كان بصحبة مارغو شابا يكبرها سنا ولم تجد اليانور فرصة خلال السهرة لتتكلم معه. مشت كاتي خلف اليانور وهي تصعد السلالم وتمتمت في اذنها:

ـ اليس المسرح فخما؟ سمعت عن دروري لاين ولكنني لم اتخيله بتلك الضخامة. لقد تساءل غاي: كيف استطاعوا الحصول على تذاكر للمسرحية؟ المفروض ان التذاكر نفدت من السوق منذ ايام. (ابتسمت واكملت) ولكن نظرة واحدة الى ادوار تشرح كل شيء... (كان ادوار يتقدم الجميع صعودا الى المسرح. نظرت اليه كاتي ثم اكملت حديثها متمتمة في اذن شقيقتها) يلزمك نظارات... يا شقيقتي... انه رائع.

ـ هل اخبرت غاي عن...

ـ لا. قلت لك انني لا استطيع.

ـ كان من الافضل لوفعلت.

نظرت اليها كاتي حزينه يائسة فاكملت اليانور:

ـ انسي الموضوع الآن واستمتعي بسهرتك.

قال غاي:

- كفاية ثرثرة. لا اسمح لأي سرّ بينكما...
قالت مارغو:
- هراء. تدابير الزفاف كلها اسرار يا عزيزي غاي. انا وكاتي لدينا اسرار ايضا. اليس كذلك؟ اسرار عن الجهاز الانيق... عروسك جميلة يا غاي، لقد احسنت الاختيار، اتمنى لكما التوفيق.
وضع غاي يده حول كاتي وابتسم لها ابتسامة عريضة وقال مفاخرا:
- انها فاتنة.
قال ادوار يخاطب اليانور:
- اليك برنامج المسرحية يا اليانور.
نظرت اليه بقامته المديدة وشعره الاسود اللماع وهو يقودها الى مقعدها. شكرته بنظرة سريعة وجلست. بعد ان انتهت المسرحية صفقت اليانور كثيرا وتمتمت بكلمات الاعجاب والمديح المتداولة في مثل تلك الظروف. بعد مرور يومين نسيت اليانور كل شيء. لم تعد تذكر الا وجود ثلاثة اشخاص معها. ادوار ومارغو وغاي: ادوار شاب مهذب ويحسن مراقبة الامور حوله ولا يفوته فهم اي شيء. ومارغو سلايد تتدخل في امور لا تعنيها ابداً وتتلصص لتسرق الاخبار من حولها وتجري تحقيقا هنا وهناك من كثرة اسئلتها. اما غاي فكان يثرثر بسعادة واضحة. شخصيته المنفتحة يسهل التعامل معها في كل مناسبة... كم كانت تخشى اليانور هذا اللقاء معه... ولكن قصة الجهاز فاجأتها واربكتها. بدت وهي تلقاه مشدوهة ومشوشه الافكار.
وجبة الطعام كانت عملية تجريبية بالنسبة اليها، حاولت جاهدة ان تبدو طبيعية وهي تتناولها. كانت فوق تصورها وما اعتادت عليه في حياتها السابقة. الطعام لذيذ ورائحته شهية واجبرت نفسها على ابتلاعه مع الاحاديث المختلطة حولها... بدت الامسية كأن لا نهاية لها... فتمنت لو تنتهي وتنتهي هي من الامها العديدة.
انفض الاجتماع في ساعة متأخرة جدا من الليل. وفي آخر لحظة وجدت اليانور نفسها تواجه ترتيبات العودة... بقيت برفقة ادوار ليعود بها في سيارته الى البيت. سألت وهي شاردة:

ـ أين فانيسا؟

بقي ادوار صامتا يركز كل انتباهه على قيادة السيارة. . . وبعد فترة صمت طويلة قال:

ـ ننتظر وصول بضاعة في الصباح الباكر، ستنامين في الشقة معي. ظننت انها اخبرتك. ارجو ان لا يزعجك البقاء في المنزل دونها. السيد والسيدة هيكمان في الطابق الاول.

ـ لا. لا مانع عندي.

رمقته بنظره فاحصة. احست ان هناك شيئا يزعجه بل يغضبه. اصبح شخصاً لا يحتمل. وسّرت لأنها ليست سبب غضبه. اغلقت عينيها لترتاح وتفكر في مشاكلها الخاصة وكان مزاجه العكر يناسبها وكذلك صمته. تمنت اليانور ان يخف صداعها او تصمت افكارها. . . بدأت تراجع الاحداث لنفسها. . . رؤ ية غاي. . . بدا كأن وجودها لا يعنيه ابداً. طوال السهرة وهو يتحدث كعادته. . . شعرت انه صهر المستقبل. . . انزعجت من نفسها، كيف يمكنها ان تقع في الحب وتخرج منه بهذه السهولة والسرعة. هل هي شابة سطحية تافهة. . . هل جذبها بوسامته وجمال تفاصيل وجهه؟ هل اسأت فهم نظرته التي رماها بها اول ما رآها؟ هل فسرتها على انها اعجاب. . . بها. . . ؟ وهل من الممكن معالجة جراح القلب القاتلة بالبعد اسابيع قليلة. . . ؟ لقد خرج غاي كليا من فكرها وقلبها وعقلها.

والسؤ ال عن الثمانين جنيهاً عاودها. ودت لو تصرخ تستغيث. . .

فتح ادوار باب السيارة ثم باب المنزل لها. الظلام الدامس يملأ البيت. تبعته اليانور الى المكتب وخلعت معطفها وهي تتثاءب. اشعل ادوار النور الخافت فوق الطاولة الجانبية في المكتب. الصمت كثيف مما اثار ريبة اليانور وقلقها. كانت تعبة جداً ولكنها وجدت معالجة الامر بلياقة وكلمة مجاملة فقالت:

ـ شكراً على هذه الامسية يا ادوار. انت لطيف. . . لقد تكبدت مشقة من اجل شقيقتي كاتي وخطيبها. تمتعنا كثيرا بهذه الامسية. . .

لم تجد ما تريد. كان ادوار لا يزال على صمته الثقيل والغريب. نهض الى الستيريو وادار بعض الموسيقى الخافتة والحالمة ثم عاد ليقف امامها وقال بعصبية:

ـ انت لم ترقصي معي خلال السهرة.
كانت نبرة صوته تنم عن الغضب وكذلك تعابير وجهه القاسية تشير الى وجود خلل... شعرت كذلك بعدم توازنـه وارادت ان تتحاشى الاصطدام به. قالت باسمة:
ـ انت لم تطلب مني مراقصتك!
ـ كلا.
اجابها بعصبية ظاهرة ثم شدها اليه وضمها بذراعيه وبدا يدور بها ببطء في الغرفة وهو يحاول ان يتابع اللحن الموسيقي. المناسبة لا تدعو للرقص والجو ثقيل للغاية وغير مألوف مما جعل اليانور تجر رجليها بثقل ثم تتوقف عن الرقص ولكنها بقيت تقف صامته بين ذراعية. بدا ادوار كمن نفد صبره. مشى الى الستريو واصمت الموسيقى وعاد يقف امامها ليقول بغضب ظاهر:
ـ اريد ان اتحدث معك بأمر هام.
ـ صحيح؟
ـ اعرف ان لديك خبرة ومقدرة فائقة على التمثيل يا اليانور. ارجو ان لا تنظري اليّ ببراءة ودهشة مصطنعة!
بان غضبه للعيان ولم يعد يستطيع كبحه. مشى الى الطاولة وصب كاسين من الشراب المنعش وحملهما. قدم لها كأسا. هزت رأسها وقالت:
ـ شكرا... لا اريد.
ـ اشربيه. افعلي كما آمرك. لا اعرف ماذا جرى لك هذا المساء. لا اريد ان يغمى عليك... لا تنتظري مني اية شفقة؟
ـ هذا آخر ما انتظره منك يا ادوار.
كانت لهجتها لاذعة وقد بدأت دموعها تتساقط بسرعة على خديها.
ـ حسناً. سأعزو شحوب وجهك وقلة قابليتك للطعام بسبب حماسك للسهرة وليس لأسباب اخرى خفية.
ـ ارجو ان تكف عن معاملتي كأنني شقيقتك الصغرى.
ـ ربما هنا يكمن الخطأ.
بدا غاضبا... وصح الامر لها جليا فهي وحدها سبب غضبه.

قالت:

ـ ماذ تعني؟

ـ يا عزيزتي اليانور... لقد لفت نظري خلال السهرة انك لست شقيقتي الصغرى ولا يمكن ان تكوني كذلك في شعورك.

ـ اشعر انك غاضب جدا.

ـ نعم. وقد تبين لي الآن ان كونك لست شقيقتي يمنحني بعض الفرص... (مد يده يداعب خدها برقة ظاهرة. ثم تابع وهو ينظر الى عينيها وقد ركز عينيه الزرقاوين فيهما. احست كأن النار احرقت كفها).

ـ لماذا تفعل ذلك يا ادوار؟

ـ لماذا؟ انت تقللين من قدر نفسك يا عزيزتي. عليك الا تقارني بينك وبين قطعة الشكولاتة... شقيقتك... أنت جذابة وجسمك متناسق وصوتك دافىء وعيناك معبرتان وتروقين لي اكثر بكثير من شقيقتك...

هزت اليانور رأسها غير موافقة بينما تابع ادوار الاقتراب منها ببطء ولين حتى قاربها تماما، فضمها بدون عناء ولم تحاول دفعه بل كادت تسقط ارضاً لو لم يمسك بها. حاولت ان تتكلم ولكن حلقها جف. وبعد جهد سحبت نفسا عميقا وقالت بصوت متهدج:

ـ ارجوك ان تبتعد عني يا ادوار...

ـ اليس ذلك ما تريدين؟ هل غيرت رأيك فجأة. اليست الفكرة جيدة. لماذا تخافين الآن بعد ان اثمرت خطتك ونجحت (كان يتكلم بسخرية وبرودة واكمل) هل انت معتادة على الشباب الطائش... وانا رجل ناضج اخيفك. صحيح. كان علي ان اسأل مارغو الى اين وصلنا بعلاقتنا (ضحك ضحكة مجلجلة) اما زلنا في طور تماسك الايدي... هل سأخيب ظنك. انا لي شهرتي في هذا المضمار...

جذبها بقسوة اليه حين استطاعت ان تتكلم قالت متألمة:

ـ ادوار. اعرف انك غاضب...

ـ يا الهي! انا غاضب. انا واثق بأنك كنت لا تعرفين عمن كنت تتكلمين... لو كنت رفيقك يا صغيرتي البريئة لطالبتك بحقوقي... (احمرت وجنتاها على الفور وبدا مسرورا لرؤية خجلها الظاهر) مارغو سلايد هي اكبر ثرثارة في البلد. لن تصمت عن القصة التي سمعتها

طويلا. وحين سنحت لها الفرصة هذه الليلة تكلمت... كادت تموت وهي تتشدق وتهنئني على ذوقي... ولكن مارغو لا تتكلم دون ان تكون قد حصلت على اعتراف منك مسبقاً!

بدأت الامور تتوضح في نظر اليانور... إنها كاتي شقيقتها. هي التي اخبرت مارغو... كاتي فتاة شاعرية رومانسية. لقد اخبرت مارغو بانها تعرف ادوار معرفة جيدة. انها صديقته... وربما اضافت تعابير اخرى... شعرت اليانور بالغضب يجتاحها. كيف يستطيع ان يجرؤ على القول بأنها تخدعه. او ان تقيم علاقة سرية معه... نظراته اليها نظرة مذلة ومحتقرة. ثم ضحكت اليانور ضحكة صفراوية باهتة وقالت:

- يا الهي. لماذا انت غاضب. كنا نتكلم ونتسلى بالكلام. لا شك انك معتاد على هذه الاقاويل.

- هذا صحيح. ولكنني لم انتظر ذلك منك، اذن انت تعترفين بانك اخبرت مارغو.

- من السخافة ان انكر ذلك. وانت لن تلومني وانا احاول مع عازب... مناسب يعيش قريبا مني. تكلمت مع مارغو بامور تافهة. ربما هي التي ضخمت الامور...

مشى اليها من جديد وقال ببساطة:

- لا. لا الومك. ولا اريد ان اخيب املك. انت سيدة محترمة ولا اعدك بالزواج... ولكن ربما تستطيعين ان تجعليني اغير رأيي بالموضوع!

تمتمت بصوت مرتجف:

- انت شاب كريه بغيض.

- وانت غبية يا صغيرتي. انها ليست دعابة. ما تفعله الآن ليس تسلية. لو لم اكن غاضباً لضحكت من تصرفاتك.

- انت غاضب يا ادوار مانسل. انت لست الغاضب الوحيد هنا. (بدأت تعيد ترتيب هندامها).

- دعيني اساعدك.

- اياك ان تلمسني!

- لا تكوني سخيفة (كان صوته قاسيا وهو يساعدها) انت تحبين اثارة المشاكل... اليوم كنت ستجدين نفسك غارقة في مشكلة كبيرة.

ـ كلا. ثم انت لست الوحيد الذي كان يلعب بالنار. (كانت عواطفها تتصارع بداخلها) ربما تخبرني ما قالته لك مارغو سلايد!

ـ لا اريد. مارغو ثرثارة وخبيثة. انها في النهاية من الفتيات الشرسات. فهي لم تسامحني لانني لم اقع في جاذبيتها الفتاكة. ربما هذا هو السبب الذي صبغ حديثنا قليلا... انا لا اريد ان ازعجك بالتفاصيل او اضجرك. لقد لمحت لي بما فيه الكفاية وتركتني اشك في الحقيقة... اما هي فلم توضح كلامها.

ـ فهمت.

ـ لا. انت لا تفهمين. ربما هي هاجمتك ولكن كان في نيتها ان تنال مني انا... انت بريئة ولا تستطيعين فهم شراكها... وان لم اتكلم قبل ان اواجهك لاعرف الحقيقة منك.

ـ كم انت مغرور بنفسك... ليس في نيتي ان اقرن اسمي باسمك ابدا. ربما انا اختلف عن جميع الفتيات اللواتي مررن بحياتك... انا لا يهمني كبرياءك او مغالاتك وتعاليك وانانيتك...

ـ افهم.

ـ انا سعيدة لأنك تفهم رأيي فيك. كيف يمكنك ان تعتقد انني...

ـ آسف لأنني كنت مراوغاً...

ـ صحيح. اهذا كل شيء؟

ـ وماذا تريدين اكثر؟

ـ كيف استطعت ان تكون جارحا ولاذعا وساخرا وغاضبا وانت تحاول اقتناص الفرص... كيف تغيرت الآن... اصبحت هادئاً متفهماً...

ـ ربما لأنني رجل ناضج. سيزول غضبك عندما تكتشفين ان لي اسباباً...

ـ ولنا، اليس لدي اسباب. هل اعتقدت ان باستطاعتي خداعك...

ـ لقد كنت خاطئاً. انت تفهمين اكثر مما كنت اتوقع.

ـ ربما. وربما انت تحاول ان تسخر مني من جديد. لديك الآن مزاج للمرح يا ادوار مانسل... انت بلا اخلاق. وانا لا زلت غاضبة منك.

ـ تعالي يا الهانور. اجلسي. كفى حركة دائمة كعصفور في قفص...

اجلسها بقوة وجلس قبالتها وقال:

- اذن كل شيء كان من فعل شقيقتك الصغرى؟
لا يفوته اي شيء مهما كان تافها. ودّت لو تخبره كل شيء عنها. . . تمنت لو تستطيع. ولكنها ليست على علاقة طيبة معه. انه مضيفها فحسب. . . ولا يمكن لاي شخص ان يوقعه في فخ الزواج منها. . .
- آسفة. هذه هي الحقيقة. فهي لم تعرف كيف سيتحور كلامها. . . ثم مارغو هي التي دفعتها للكلام. . . ارادت شقيقتي ان تفاخر بعائلتنا المتواضعة وعلاقتها بآل مانسل. . . ربما شعرت كاتي بأن مارغو مهتمة كثيراً بأمرك. . . لا اعرف بالضبط ما قالته. . .
- ربما لم تقل الشيء الكثير لأن مارغو ثرثارة وتحب الاقاويل وتضخيم الامور.
- وماذا قلت لها انت.
- حاولت ان اضللها ببعض التعابير الغامضة.
- وهل سبق ان سمعت منها ما يشبه هذه القصة.
- لا اريد ان اتكلم حتى لا تتهميني بالمفاخرة.
- اذن انت لم تنف او تؤكد اقاويلها!
- صحيح.
- وماذا سنفعل الآن يا ادوار؟
صمت يفكر. نظرت اليه تستوضح تعابير وجهه. رأت حاجبيه الكثيفين مرتفعين بشكل غير معقول. بدا شكله غير مرتب وقد تدلت خصلة من شعره فوق جبهته. . . شكله كأي انسان عادي يفكر. لاحظت وجود بعض القشرة على ياقة قميصه. معطفه مفتوح وقد مدّ رجليه كي يرتاح. فك ياقة قميصه الابيض المنشاة وظهر شعر صدره الكثيف من تحت البدلة السوداء الرسمية. ظنت اليانور انه نام. . . كان هادئاً مرتاح البال. واخيرا رفع عينيه الزرقاوين ينظر اليها متسائلا. . . كررت سؤالها من جديد. استوى في جلسته متكاسلا ومد يده لمؤخرة رأسه يحكه مفكرا بحركة طبيعية ثم وقف امامها قائلا:
- ماذا سنفعل؟ لا شيء. . . ستموت الاشاعة بعد قليل. ستغادر شقيقتك غداً الى يورك وسنبتعد عن طريق مارغو سلايد لفترة ننساها وتنسانا. . . الوقت متأخر الآن ومن الافضل لك ان تأوي الى فراشك.

مدت اليانور يدها. امسك بها وساعدها على النهوض. سحبت يدها من يده بسرعة. مشت نحو الباب وتبعها بعد ان اغلق الضوء.

ـ تصبح على خير يا ادوار. آسفة لأنني افسدت سهرتك.

ـ لم تكن سهرة سيئة (فتش في جيوبه عن مفاتيح سيارته). كنت شاحبة الوجه حين وصلت الى المسرح هذا المساء. هل مقابلة غاي سلايد هي السبب؟

فاجأها بسؤاله غير المنتظر. احمرت وجنتاها وهي تحاول ان تفتش عن جواب. قال:

ـ اعتقد انه يناسب شقيقتك كاتي ولا يناسبك.

ـ انت حقا ابغض انسان عرفته.

ـ اما زلت تحبينه؟

ـ يسرني اهتمامك بأمري. ولكنني لا . . . لا احبه.

ـ تابعي هذا القول لنفسك عدة مرات في اليوم فربما تصدقين نفسك في النهاية. كلما تقدم بي العمر وجدت انني عاجز عن فهم ما تسمونه «الحب». انه لا يؤمن جانبه ابداً. (اكمل بلطف) كنت قاسيا معك الليلة يا اليانور . . . انا لست متوحشاً، لقد كنت غاضبا من نفسي . . . مساء الخير.

مشى الى الخارج وغاب في الظلام.

كل شيء هذا المساء لا يحتمل. بدأت السهرة وهي تعتقد انها تحب رجلا وانتهت وهي تفكر برجل غيره. هزت رأسها متعجبة من تغير عواطفها السريع. كل شيء يصعب فهمه في هذه اللحظة.

كانت لا تزال في وقفتها قرب الباب حين سمعت المفتاح يدار في القفل ويعود ادوار.

ـ لقد نسيت بعض الاوراق. (دخل غرفة المكتب وعاد يحملها بيده) على فكرة يا اليانور رغبت ان اسألك من قبل: ماذا حلّ بادوار؟

ـ ادوار؟

ـ الضفدع الذي كنت تربين.

ـ لقد مات. دهسته سيارة المدرسة.

ـ ربما كان بطريقه اليك. مسكين. . . مساء الخير.

لم تصدق اليانور ما سمعت. وبعد قليل سمعت صوت محرك السيارة يدور والسيارة تبتعد. كيف يمكنها ان تصف رجلا مثله...

دخلت فراشها وهي تفكر. انه مغيظ...

## ٤ - «كوني طيبة القلب يا سيدتي واتركي الذكاء للآخرين» هذه كلمات شارلز كينغزلي... واليانور الطيبة القلب تركت الذكاء لادوار مجبرة بعد ما قادته ليلة ماطرة الى حيث تعمل فعرف كل شيء، وقدم لها عرضاً جديداً.

نظرت اليانور الى ساعتها. انها الثانية بعد الظهر. بعد نصف ساعة سيحين موعد الشاي. مرت بالقرب منها الخادمة مايسي التي تعمل معها وهي تحمل صينية مليئة بالطعام الساخن.

ـ نحن مشغولون اليوم. انتبهي الى الطاولة رقم سبعة. انه شخص يجيد الانتقاد واظهار العيوب. استغرب لماذا عاد من جديد الى المطعم؟ الأنه يستلطف واحدة منا؟

مشت مايسي بين الطاولات بطريقة ماهرة تدل عن خبرة طويلة في مضمار الخدمة في المطعم. ونظرت اليها اليانور شاكرة معلوماتها القيمة. لقد تعلمت الكثير من ملاحظات مايسي وهي في بداية حياتها العملية كخادمة في مطعم لويجي..

استلمت اليانور الوظيفة بعد ان تحدثت مع كاتي بشأن الثمانين جنيها. وجدت حلا للمشكلة المالية في هذه الوظيفة.

قال احدهم مرة ان مصائب قوم عند قوم فوائد. وهذا ينطبق على الارملة التي تعمل كمساعدة في محل الاثريات عند ادوار فقد تعثرت وكسرت رجلها... وهذا يعني ان فانيسا تحتاج لوقت اطول من المعتاد في المحل وبذلك يفسح المجال أمام اليانور لتعمل في المطعم دون ان ينتبه احد لغيابها.

انتقلت فانيسا من المنزل الريفي الى المنزل في المدينة وطلبت من اليانور مرافقتها. فرحت اليانور بهذه الفرصة لأنه يسهل عليها التفتيش عن وظيفة... غيابها كان معللا بمشاهدة معالم المدينة السياحية وبذلك كانت تبقى فترات طويلة في العمل.

قبل حصولها على هذه الوظيفة في المطعم رغبت في بيع خاتم جدتها. اخذته الى محل محترم لبيع المجوهرات وطلبت تقييمه. واكتشفت ان التقييم لا يتم فوراً. سجلوا اسمها وعنوانها وكان عليها ان تعود بعد يومين لتأخذ نتيجة التقييم.

تركت محل بيع المجوهرات وهي تشعر بخيبة امل. المطر ينهمر بشدة وهي داخل شوارع ضيقة ومتشابهة. احست انها تحتاج لرؤ ية خريطة البلد كي تعرف مكانها. وجدت مطعما صغيرا وقررت ان تدخل لتتناول فنجاناً من القهوة وتراجع الخريطة على مهل.

مطعم لويجي، الاسم ايطالي ولكن مالكه كين ولسون من ميدلاند لا يمت بصلة الى الاسم الايطالي. تكلمت مع السيد كين وتأكدت من حقيقة قوله ولكنته الاصلية. واكتشفت اثناء حديثها معه ان المطعم بحاجة الى خادمة. مواعيد العمل يوميا من العاشرة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر وعليها ان تخدم فترة امسيتين في الاسبوع وقبلت ان تبدأ في اليوم التالي. كان عملها متعباً للغاية في البداية ولكنه سيساعدها على حل مشكلة كاتي المالية... ثم هي لا تملك مؤهلات علمية معينة او اختصاص وهذا العمل يناسب وقت فراغها القليل.

وجدت اليانور في مايسي الخادمة التي تشاركها العمل صديقة طيبة ومعروفة بين الزبائن في المطعم. مايسي مسؤ ولة عن تربية ابنها الصغير جو

وهو في الرابعة من عمره. كان زوجها قد تخلى عنها وعن ابنه في الاسابيع الاولى من حياته. وهي لا تثق بالجنس الآخر مطلقا ورأيها فيهم يصبغه السواد.

بعد ما عملت اياما قليلة في المحل غيرت اليانور رأيها كليا. تبين لها العمل الشاق والنفس الطويل الذي تحتاجه في مسايرة الزبائن. معظم اوقات عملها تحلم بساعة راحة تخلع فيها حذاءها لتريح رجليها من كثرة المشي... سألتها مايسي:

ـ ستعملين معي هذه الأمسية؟ لدي مشكلة مع حاضنة ابني جو. انها مشغولة هذه الليلة وانا لا اريد ان اخسر عملي في هذه الوظيفة فالوقت يناسبني...

ـ حاولي التبديل مع سواي. انا اساعدك في رعايته في ليلة اخرى.

ـ صحيح؟ شكراً يا اليانور. سأحاول.

بدأت اليانور تعتاد على جو العمل وروتين الحياة... ولكن التعب اضناها. كانت كل امسية تأوي الى فراشها منهكة القوى وهي تعد الأيام التي ستمكنها في النهاية من تجميع ما يلزمها من المال.

خروجها خلال النهار كان بقصد زيارة معالم المدينة السياحية... ولكنها في الواقع كانت تتعلم قصص الحياة الحقيقية في ميدان العمل. ربما ساعدها غياب ادوار عن المدينة في رحلة عمل الى ايرلندا وهذا ما سهل عليها الأمر كثيراً. اما السيد مانسل فكان يحضر من وقت لآخر الى البيت في لندن ويستفسر عن صحتها ويبتسم لها باحترام وكذلك السيدة ايف مانسل، حين تلتقيها تسألها عن احوالها ولا تنتظر لتسمع اجوبتها فهي كعادتها دائماً مشغولة ووقتها كله اجتماعات ومواعيد.

بعد ان عملت اسبوعين عند لويجي، عادت بعد ظهر يوم الاربعاء مسرورة مرتاحة البال. اصبحت تعرف طرقات لندن دون الاستعانة بالخريطة. تنقلاتها في المدينة الكبرى اصبحت سهلة للغاية. في هذا اليوم موعد عملها في المساء. سترتاح قليلاً في البيت ثم تعود الى العمل. وصلت الى البيت وطلبت من السيد هيكمان فنجاناً من الشاي وتمددت على الكرسي ترتاح...

احست بتشنج في رقبتها وبعض اليباس بعد ان استفاقت من نومها

المزعج على الكرسي. فتحت عينيها وبدأت تفرك رقبتها وتمدد رجليها. . .
وبعد دقائق قليلة شعرت بوجود ادوار يجلس على الكرسي قبالتها وهو يراقب حركاتها صامتاً. استوت في جلستها على الفور وحاولت ان تلبس حذاءها. . . لم تر ادوار منذ ليلة السهرة مع كاتي. . .

ـ اهلاً ادوار. عدت من السفر. لم اسمعك تدخل! هل وصلت منذ زمن طويل؟

ـ منذ عشر دقائق تقريباً. كنت نائمة دون وعي حتى انك لم تشعري ببيكمان وهو يحمل لك الشاي. لقد برد فنجانك قربك. هيا خذي غيره. ربما انت تعبة. . . ربما تسهرين طويلا. . .

ـ ليلة في الاسبوع او ليلتين على الأكثر. . . هل شخرت وانا نائمة؟

ـ لا. (اشعل سيكارته واسند ظهره برتاح وهو يراقبها متكاسلاً).

احست اليانور بالدماء تجري حارة في وجنتيها تحت وطأة نظراته الفاحصة وعينيه الزرقاوين. تذكرت آخر مرة التقته. . . والآن بعد عودته ربما تصبح الأمور اكثر تعقيداً. . . تذكرت عناقه القاسي وحرارته. لقد جعلها تحس بأنها امرأة كما لم يفعل اي رجل غيره من قبل. لماذا؟ انها لا تحبه؟ نظرت من جديد الى تعابير وجهه واستغربت طريقة نظراته وملامحه. . . كأنه لا يوافق عليها ابداً. . . لماذا؟ قالت مبتسمة ابتسامة متكلفة:

ـ صحتك جيدة والحمدلله. لقد لوحتك الشمس وتبدو قوياً.

انيق الملبس كعادته ويرتدي كنزة كشمير صوفية زرقاء اللون وبنطلوناً كحلياً من الصوف الناعم.

قال:

ـ آسف لأنني لا استطيع ان اجاملك واقول انك بصحة جيدة. ولكنني منذ تركت الى ايرلندا لم تكوني على طبيعتك وكنت آمل ان اعود واراك قد استعدت لون وجنتيك الوردي بعد سفر شقيقتك كاتي وخطيبها سلايد.

ـ ربما اللون الأسود لا يناسبني:

كانت ترتدي ثياب العمل وزي الخادمات في المطاعم.

ـ هذه الملابس تتماشى مع السواد حول عينيك. . . ثم يبدو ان وزنك قد نقص. . .

ـ المشي يسبب ذلك فأنا اتنزه في المدينة يومياً لأتعرف على معالم لندن

السياحية. كيف ايرلندا؟

- خضراء وجيلة... ربما اهملوك كثيراً خلال الاسبوعين الماضيين يا اليانور. ما هو برنامجك للغد؟

وضع رجلاً فوق رجل. فكرت في نفسها قائلة: سأعمل طبعاً في المطعم.

- زيارة الى المتحف الوطني ثم الاكاديمية الملكية اذا تيسر لي الوقت.

- هل تريدين ان ارافقك؟

- اوه! جميل منك يا ادوار ان تسأل ولكنك مشغول للغاية بعد عودتك من السفر. لا تهتم لأمري. اعتدت الذهاب بمفردي، ربما في مرة اخرى حين يكون ذلك اسهل عليك.

انتظرت تعليقه وهي تتمنى ان لا يحرجها.

- حسناً.

فتح حقيبته ليدرس بعض الأوراق.

- هل ترغب في فنجان ثان من الشاي؟

رفع رأسه عن حقيبته واومأ موافقاً واكمل قراءة اوراقه. رفعت عينيها تستطلع الوقت في ساعتها. عليها ان تخرج على الفور لأن موعد عملها بعد نصف ساعة فقط. سألها ادوار:

- هل تخرجين معي للسهرة هذا المساء؟

- يا الهي!

ارتجفت يداها ووقعت ملعقة الشاي على السجادة. ارتبكت بوضوح.

- هل ارتباكك دليل فرح طفولي ام هو خوف من دعوتي؟

- لا هذا ولا ذاك... الفنجان لم يكن في موضع ثابت.

- هل احظى بجوابك؟

- آسفة يا ادوار لانني مشغولة هذه الليلة. لدي موعد.

امسك برسغها بلطف وهي لا تزال تمسح السجادة وتتلهى بالنظر الى الأرض. قال:

- هل تخافينني يا اليانور؟

- لا ابداً. صدقني. لدي موعد مسبق.

- هل استطيع ان اعرف من هو سعيد الحظ؟ هل هو صديقك؟

ـ لا . . . اسمه جو.
كانت لهجتها حازمة واغلقت باب الكلام بينهما ونهضت على الفور واقفة:
ـ ربما في ليلة ثانية. . . اذا كان صديقك جو لا يمانع!
ـ طبعاً. سيكون ذلك ممتعاً. (ابتسمت له وهي تحاول ان لا تلتقي بنظراته) وداعاً يا ادوار. شكراً على الشاي.
تأخرت بعض الدقائق عن عملها. دخلت مسرعة الى غرفة الموظفين وخلعت معطفها وارتدت قبعتها على عجل وربطت مريولها الابيض فوق ثيابها السوداء. . . ظهرت مايسي امامها وقالت ملهوفة:
ـ اخيراً وصلت. ظننت انك لن تحضري!
ـ لقد تأخرت قليلاً. . .
ـ هل انت بخير؟ انت لا تتكلمين كثيراً عن نفسك وانا لا اريد ان اتدخل بشؤونك الخاصة. . . ولكن هل انت في ورطة. . .؟ ومع رجل؟
ـ لا يا مايسي!
ـ من الواضح انك تقومين بهذا العمل لفترة مؤقتة. . . لأنك في مأزق. . . اذا كنت استطيع مساعدتك فأنا مستعدة. كل مشاكلنا نحن النساء هي من الرجال!
ـ يوماً ما سأستشيرك بشأن ايجاد منزل لي لانني اريد الانتقال. . . اعيش الآن مع اصدقاء والدتي وهم كرماء ولم يحددوا موعد انتهاء زيارتي في ضيافتهم ولكنني لا استطيع ان افرض نفسي عليهم اكثر. ومن الصعب الآن علي ان اشرح لهم وضعي. . . ولكنني حتماً سأحتاج لمكان في المستقبل القريب. مايسي. اليك بعض البرتقال لجو الصغير.
ـ انت دائماً تهتمين بأمره وتشترين له الهدايا.
ـ انه صديقي المفضل.
ـ لا. لا اصدق ذلك.
كانت مايسي واثقة بوجود شاب آخر في حياتها. في اليوم التالي حين وصلت اليانور الى المنزل وجدت سيارة هيو. «البورش» متوقفة في المدخل. صعدت الى البيت ووجدته في المكتب يخط رسالة الى ادوار. نظر اليها هيو

مبتسماً ومحيياً.

قالت له اليانور مسرورة:

- اهلاً هيو. هل تبقى لتتناول الشاي (جلست على الكرسي وخلعت حذاءها على الفور) اغذرني ولكن رجلاي تؤلماني!

- زياراتك لمعالم لندن السياحية مشياً على الاقدام متعبة للغاية... اليس كذلك؟ انا اكتب رسالة الى ادوار واريدك ان توصليها اليه. ربما تحملها له فانيسا الى المحل غداً اذا لم يحضر هذا المساء. حاولت الاتصال به هاتفياً بعد الظهر ولكنني لم افلح.

- انه مسافر في هولندا يلاحق بعض البضائع الضائعة. اترك الرسالة وسأعمل جهدي لتصله... هذه الرسالة هنا من اهلي. هل تسمح لي ان اقرأها؟

- لا زلت تشتاقين للبيت في يورك؟

- من وقت لآخر. بعدي عن البيت نفعني كثيراً. لقد قمت باعمال لم اكن لاحلم بها منذ اشهر قليلة. التقيت اشخاصاً ورأيت الحياة على حقيقتها وانا هنا. وهذا سيساعدني على اختيار حياتي...

- هذه هي الحقيقة. (طوى رسالته ووضعها في داخل مظروف). من الواضح انك سهلة التأقلم. انا مسرور لأجلك. النبتة الصغيرة التي تعيش داخل المنازل حياتها قصيرة. (دخل هيكمان يحمل الشاي. شكرته اليانور). ونظرت الى هيو قائلة:

- انظر الى كل هذه الساندويشات والكاتو.

- يا عزيزتي اليانور لقد عدت في الوقت المناسب لاتناول هذه الاطايب.

حضرت فانيسا بعد نصف ساعة ودخلت غرفة المكتب لتجدهما يثرثران بطريقة ودية وعفوية. كان هيو يجلس على كرسي يشرب الشاي بينما جلست اليانور على السجادة بالقرب من المدفأة.

- منظر ودي للغاية. اتمنى ان يكون قد بقي لي بعض الشاي فأنا من الكادحين. السير مزعج للغاية والازدحام لا يطاق... كيف حالك يا هيو؟ لم نرك مؤخراً! هل كنت مشغولاً؟

- نعم. طريقتك بالدخول الى الغرفة وهجومك المفاجىء يجعلني اخاف على كنوز ادوار الاثرية من التحطيم.

- اوه. استطيع ان اكون سيدة محترمة التصرف متى اريد. شكراً يا اليانور على الشاي. هل تمتعت بوقتك هذا اليوم؟
- نعم. تفضلي وتناولي بعض الساندويشات.
قال هيو:
- فانيسا لم انس موعدنا في قاعة الاحتفالات للاسبوع المقبل. هناك برنامج مثير. هل نذهب يوم الجمعة؟
- نعم. انا جاهزة يوم الجمعة.
- وانت يا اليانور؟
- اسفة يا هيو ولكنني مشغولة يوم الجمعة.
قال هيو يخاطب فانيسا:
- سأتصل بك هاتفياً واحدد موعدنا بالتفصيل. (خلع نظاراته ومسحها) الا ترغبين يا فانيسا في معرفة المقطوعات الموسيقية التي ستعزفها الفرقة؟
- اوه. انت تعرف انني اوكلت اليك مهمة تثقيفي الموسيقي... منذ صغري.
- مقطوعة «دوفورجاك «العالم الجديد» وبعض موسيقى بروكوفييف وبرليوز.
- اليانور. هل لاحظت كيف يختبىء هيو خلف نظاراته. انه لا يحتاجها فعلياً، بل يعتقد انها تضيف الى شكله احتراماً وتضفي عليه قوة وسلطة يحتاجها وهو يتعامل مع مشاكل الدولة وتصريف امورها في مكتبه بالوزارة.
مشى هيو ببطء الى الباب. مر بيده بحنان على شعر فانيسا وهو يمشي خلف كرسيها حيث تجلس وقال:
- هناك من لا يحترم الأكبر منه سناً.
- سأكمل الواحدة والعشرين من عمري في الشهر المقبل. عليك ان تحضر عيد ميلاد حريتي وسأريك كيف اكون محترمة. سأدهشك... على فكرة ما هو انطباعك عن معرض ارشي لورد الليلة الماضية. لمحتك هناك فترة ولكنك لم تبق طويلاً.
- رأيت بعض المعروضات ولكنني لم استسغها.
- صحيح. انها غريبة عن ذوقي ايضاً.. لماذا حضرت؟

ـ اعرف شقيقه الأكبر ووجدت ان من واجبي المضنور لاشجعه.

ـ مسكين انت يا هيو. . . انا ذهبت برفقة فيليب نولان وهو صديق للعائلة.

بينما كانا يتحدثان كانت اليانور تعيد قراءة رسالتها. نظرت اليهما بعدما انتهت من القراءة. ودعها هيو وخرج. وبعد ان سمعت الباب الخارجي يغلق حدقت فانيسا بالمدفأة وهمهمت لحناً حزيناً معروفاً.

ـ هل تحبين هيو يا اليانور؟

ـ طبعاً.

ـ انت من النوع الذي يستهويه. . . لو رغب في الزواج.

احمرت اليانور خجلاً وتجاهلت مقصدها وسألتها:

ـ ماذا يعمل هيو؟

ـ يعمل في مكتب في احدى الوزارات؟

ـ معاملتك له قاسية جداً.

ـ نعم. يطيب لي ان استفزه واجعله يغضب ويفقد توازنه ورباطة جأشه. انا اقرب المقربين اليه وهو يشعر بالأمان بيننا. ولكنه مثل شقيقي ادوار يعتبرني طفلة صغيرة تحتاج للرعاية الدائمة. اقصى امنياتي في الحياة ان استفزه. اشعر ان ذلك سيكون من المستحيلات. . . والآن اخبريني الحقيقة يا اليانور هل انت حقاً مشغولة يوم الجمعة؟

ـ لماذا؟

ـ لأن باستطاعتي ان ادبر الأمر ونخرج اربعة. . .

ـ شكراً ولكنني مشغولة. واذا كان الشخص الرابع هو فيليب نولان فان هيو لن يكون مسروراً ولا اعتقد ان صحبة فيليب تروقه.

ـ وانا ايضاً اعتقد ذلك.

ـ لماذا؟

ـ فيليب رجل طائش وقد عرف عنه ذلك. ولكنه الآن استقر نوعاً ما. . . الا ان هيو يعتقد انه اكبر مني سناً ولا يناسبني . . . ويوافقه الرأي ادوار. فيليب في الثلاثين من عمره. . . هل هو كبير السن يا اليانور؟

ـ العمر لا يهم. . . الرجل هو المهم.

ـ تماماً. وهذا هو رأيي ايضاً. الرجل هو الأهم. . .

برهن شهر نوفمبر/ تشرين الثاني على انه من الاشهر الاكثر مطراً لهذا العام. اصطحب هيو فانيسا يوم الجمعة الى قاعة الاحتفالات للاستماع الى امسية موسيقية. كانت اليانور تعمل في المطعم ومعظم الزبائن اللذين حضروا كانوا يحملون معاطفهم الواقية من المطر ويدخلون المطعم هرباً من المطر ورغبة في جوه الدافىء.

تعمل مايسي مع اليانور هذه الليلة والزبائن قلة مما اتاح للفتاتين فترات للمحادثة بين طلب وآخر.

- لا اعتقد يا اليانور ان عليك البقاء هذه الليلة العاصفة. انت لم تستردي صحتك بعد ان نالت الانفلونزا منك.

- صحتي جيدة. ثم هناك عطلة الاسبوع وسأرتاح. (نظرت الى بعض الداخلين) كنت اعتقد ان الناس تبقى في بيوتها في طقس ماطر كهذا...

- خذي طاولة رقم اربعة يا اليانور وانا سأخدم الشلة على طاولة رقم عشرة.

- لم تعارضها اليانور. نظرت الى وجهها الشاحب في المرآة وهي ترى شخصاً يحدق بها من بعيد في المرآة. رتبت قبعتها وحملت قلمها ومشت منتصبة الى الطاولة رقم اربعة حيث بدا الجالس كأن صبره قد نفد. ناولت الزبون لائحة الطعام وبقيت تقف قربه تنتظره يدرس اللائحة وهي صامتة.

قال الزبون:

- ماذا تقترحين علي ان اتناول؟

- العجة الاسبانية يا سيدي. انها جيدة. (كانت تراقب المظلة التي وضعها الزبون قربه على الكرسي وهي تقطر الماء فوق السجادة.

- حسناً. عجة..

ورفع وجهه عن لائحة الطعام لأول مرة وركز نظره عليها. ركضت اليانور الى المطبخ حيث كانت مايسي تقف وتراقبها... وتراقب ادوار باعجاب ظاهر.

- اليانور. اليس رقم اربعة وسيماً؟ انظري الى ثيابه الانيقة. ماذا يفعل هنا في هذا المطعم المتواضع. هل هو في مهمة تنكرية؟

- لدينا انواع مختلفة من الزبائن. طعامنا جيد والخدمة سريعة

واسمارنا. . .

- ثم لا تنسي الخادمات الفاتنات اللطيفات. . .

- والاشاعات تنتشر بسرعة.

- لو ان الكلام عن جميلات المطعم ينتشر بسرعة فلربما استعيد ثقتي بالجنس الآخر. . . تخيل نفسك وانت تجلسين امام هذا الشاب الوسيم كل صباح ليتناول معه طعام الفطور. . . من المؤسف انني لم الق نظرة فاحصة اليه ساعة دخل المطعم والا لكنت اقتنصت الفرصة السانحة وتقدمت لخدمته وارسلتك لخدمة الطاولة رقم عشرة. . . (نظرت الى اليانور خائفة واكملت) هل انت بخير يا اليانور. يبدو عليك الارهاق. سأطلب من كرن صاحب المطعم ان يسمح لك بالانصراف الآن لانك متعبة. . . الزبائن قلة ولا نحتاجك كثيراً.

- لا لزوم يا مايسي. لم يبق الا القليل على وقت الانصراف.

- حملت اليانور صحن العجة وسحبت نفساً عميقاً ومشت به الى الطاولة حيث يجلس ادوار. كان يقرأ جريدة المساء وحين وصلت اليانور وضعها جانباً وهي تضع الصحن امامه.

- هل ترغب ببعض الحلوى بعد الطعام يا سيدي؟

- ان ناديتني مرة ثانية بسيدي، سأضربك يا اليانورا (اكمل كلامه بتهذيب متكلف). لا. شكراً. قهوة فقط. هل باستطاعتك الانضمام الي؟ لا. . .

ملأ الاحمرار وجه اليانور وعادت مهرولة الى المطبخ. نظرت اليها مايسي مستغربة.

- هل اسمعك كلمات غير لائقة؟

- انني اعرفه يا مايسي!

- صحيح؟ كم انت كتومة! كان علي ان اخمن انه يلائمك. . . ومن طينتك. يبدو انه ليس جائعاً.

- اعتقد انه يفكر بأمور اخرى الآن.

- يفكر فيك فعلاً! (هزت اليانور رأسها موافقة) هل هو صديق؟

- على العكس. (ضحكت اليانور) انني اسبب له المشاكل. . . لا يعلم انني اعمل في هذا المطعم . . . وهو غاضب لأنه اكتشف هذه الحقيقة.

- فهمت . دخل المطعم صدفة والتقاك . . . وصدمته الحقيقة . . .
- لقد صدم فعلاً ولكنه يبدو انه يعرف انني اعمل هنا قبل دخوله . . .
كيف عرف؟
- حتماً سيخبرني فيما بعد . . .
- لهذا السبب شحب وجهك ساعة دخل المطعم. (عبست مايسي واكملت) دعيني احمل عنك قهوته . (هزت اليانور رأسها موافقة بينما حملت مايسي الصينية ومشت باتجاهه بثقة ومرح).
- ابتسامته ساحرة.
- ولكنني لن اراها هذا المساء . . .
- لا افهم لماذا لا تحبينه . انه يهتم بما تفعلين . . . الظاهر انني لا افهم ما يجري . . .
- يعتقد انه مسؤول عني . . . هناك روابط عائلية تجعله ملزماً بالاهتمام بشؤوني .
حان وقت اغلاق المحل . خرجت اليانور برفقة ادوار . مشيا صامتين بعد ان توقف المطر . امسك بذراعها يقودها بحزم الى شارع فرعي حيث تقف سيارته الفضية . وكبت قربه وهي تفكر بأن مايسي ستصعق لو رأته يدعوها لدخول سيارته الفاخرة بكل احترام وتهذيب. آداب السلوك عنده من طبيعته المتحضرة ولكن غضبه لا يمكن ان يخفى على احد . تذكرت لسعات لسانه المرة السابقة حيث فقد السيطرة على اعصابه وتوازنه . وحين نظرت الى تعابير وجهه الغاضبة قبل ان تخرج معه شعرت بالخوف يتملكها.
قاد السيارة بمهارته المعهودة قبل ان يتوقف ليتحدث اليها. فتح النافذة قربه وبقي صامتاً كأنه يفكر بمدخل للحديث . وبعد ذلك تكلم قائلاً :
- هل انت مستعدة لتخبريني عن آخر مغامراتك؟
اشعل سيكارته ببطء ونظر الى وجهها على ضوء ولاعته .
- كيف عرفت؟
- ارسلت شخصاً يتبع تنقلاتك!
- انت . . . ارسلت من يتبعني . . .

نظرت اليه نظرة مرعبة . . . سحب نفساً عميقاً من سيكارته ونفخه قبل ان يقول:
ـ الأمر في غاية السهولة. هناك اشخاص يعملون لقاء اجر. اعرف ان الأمر لا يروقك ولكنني وجدت ان هذه هي اسهل السبل لاحصل على المعلومات التي اريدها . . . ثم هل كان من الممكن ان تخبريني بنفسك؟
ـ لماذا؟ ما الذي جعلك تتبعني؟
ـ اتصل بي شخص من محل بيع المجوهرات واعتذر لتأخرهم في تقديم الخاتم . . . لقد ضاع عنوانك.
ـ فهمت الآن.
ـ انا مسرور لأن احدنا بدأ يفهم (قال ساخراً) ربما تخبريني الآن لماذا وجدت من الضرورة بيع مجوهراتك والعمل كخادمة في مطعم.
ـ لماذا تخاطبني بهذه اللهجة الفظة يا ادوار. ربما تجد المكان غير لائق بمستوى حياتك ولكنه مطعم محترم يؤمه الناس العاديون.
ـ افهم انني لست محترماً ولا عادياً بنظرك . . . كما افهم رأيك بي بوضوح . . . ولكن اياك ان تحاولي الابتعاد الآن عن جوهر الموضوع فأنت لم تجيبي عن سؤالي بعد.
ـ لانني احتاج للمال! اليس هذا سبباً كافياً يجعل الناس تعمل . . . حتى انت يا ادوار تحتاج للعمل . . . لأجل الحصول على المال . . . ارجوك خذني الى البيت انني متعبة.
ـ لا . لن نذهب الى البيت قبل ان ننتهي من مناقشة هذا الأمر . . . لماذا تحتاجين المال.
ـ لا اعتقد ان هذا الأمر من شأنك؟
ـ افهم ذلك يا اليانور ولكنني سأجعله من شؤوني . . . قبل كل شيء انك تضعين والدي ووالدتي في مأزق حرج . . .
ـ فهمت الآن. ان ما يهمك هو المظاهر . . . ماذا سيقول الناس.
ـ اذا تابعت حديثك على هذا النحو سأضعك على ركبتي واشبعك ضرباً. مهما كان رأيك الخاص بعائلتي فانت قبلت مسرورة ضيافتنا وتحاولين الافادة منها قدر المستطاع . . . انت الآن مسؤوليتنا. استضفنا شابة في منزلنا ويزعجنا ان نكتشف انها تتصرف تصرفاً غير لائق . . . رؤية

معالم المدينة السياحية والتمتع بعطلة نهاية الاسبوع امر مسموح ومقبول ولكن بدلاً من ذلك تعمل على خدمة الناس في المطاعم. . .

ران صمت ثقيل احست البانور خلاله بالذل والمهانة. كانت تفهم وجهة نظره جيداً وتوافقه على كل ما قال. بدأت دموعها تنهمر بالرغم منها. وقفت لو انه لا يراها. كل كلمة تفوّه بها هي الحقيقة الكاملة ولكن طريقته في قولها كانت مؤلمة ولاذعة. . . وحين تمكنت من تمالك اعصابها ورباطة جأشها قالت بصوت منخفض.

ـ انا آسفة. . . لم اقصد ان اسبب الاحراج لوالديك ولا اريد ان استهين بكرم ضيافتهم لي. ظننت ان الأمر سيبقى سراً عنهم. . . لم اكن اعرف كيف اتصرف. . . وظننت انك لن تفهم. . .

ـ جربيني. . . لا تخفي عني الحقيقة الكاملة.

ـ سأقول الحقيقة مهما كانت بشعة. وحتى الحقائق احياناً لا تغني عن القصة الكاملة.

ـ هذا صحيح ولكنها الاساس الذي نبني عليه القصة. ساستعمل خيالي واستنبط بقية الخيوط.

ـ عندما حضرت شقيقتي كاتي الى لندن برفقة خطيبها غاي تجاوزت ميزانية الصرف على حساب حماتها في محلات هارودز. غضبت من نفسها وانتابتها حمى هيسترية لطيشها فوعدتها انا بتوفير المال اللازم لمساعدتها في محنتها. كاتي ليست طائشة في طبعها ولكنها مرت بظروف عصيبة واساءت التصرف. من الصعب عليك ان تتفهم حالتها لأنك عادة قوي الشخصية ولا تهتم لرأي الناس من حولك. ولكنها شابة غريرة وتحتاج لمساندة الناس في تصرفاتها.

ـ ولماذا لم تخبر خطيبها سلايد بالأمر؟

ـ طلبت منها ان تخبره ولكنها رفضت. . . لا اعرف السبب. . .

ـ لو كان الشاب يحبها حباً صادقاً لاستمع لمشكلتها وحاول مساعدتها.

ـ هذا صحيح. كان من الممكن ان يكون اعترافها له الحل الافضل.

ـ نحن نتفق اذن في هذا المجال. . . (هزت رأسها موافقة) اذن الشقيقة الصغرى تلقي مشاكلها فوق اكتاف الشقيقة الكبرى.

ـ وماذا يمكنها ان تفعل؟ لا اريدك ان تنهال عليها لوماً وتجريحاً. . . المال

لم يكن في يوم من الأيام مشكلة بالنسبة اليك او لعائلتك.
- ولكن المال هو سبب كل المشاكل بطريقة مباشرة او غير مباشرة. . .
لماذا لم تطلبي من والدتي المساعدة؟
- لانني مدينة لها بقبولها استضافتي. . . كما قلت، ولا يمكنني ان احملها المزيد من المشاكل.
- انا لا اوافقك. . . انت قريبة جداً من والدتي اكثر مما تشعرين، انها لا تعرف كيف تظهر لك عواطفها ولكنها معجبة بك. . . اعتقد انها ترى فيك صورة لوالدتك صديقتها الحميمة وتستعيد بوجودك بعض ذكرياتها المحببة. .
- والدتي؟
- انت لا توافقين؟
- لو رأيت صورة والدتي وهي شابة في عمري. . . كانت فاتنة. . . ولا تزال. . .
جلسا في السيارة صامتين قربهما شاب وشابة في عمر الورود وقد تعلقا ببعضهما بشكل واضح. تعانقا ونسيا العالم كله حولهما ثم تابعا السير وهما يعيشان حلماً جميلا وابتلعهما الظلام.
قال ادوار ساخراً:
- الحب هو حلم الشباب. . .
ادار ادوار محرك سيارته.
- وماذا ستفعل؟ هل ستخبر والديك. . . وهل استطيع ان اتابع عملي في المطعم؟
رفع يده معترضاً وقال:
- لا، لا يمكنك ذلك. سأعطيك المال غداً. يمكنك ان تعودي الفتاة الهادئة وتكملي جولتك في معالم المدينة السياحية في اوقات فراغك. حاولي الابتعاد عن المشاكل قدر المستطاع. سنبقي هذا الامر سراً بيننا. . .
- ستعطيني ثمانين جنيهاً بهذه السهولة. . . لماذا؟
- لانني املكها.
- وكيف اردها لك؟
- ليس بأن تعملي خادمة في مطعم. . . لماذا لا يمكنك قبول المال

مني؟

- لان . . . انت . . . انا . . .

- لا يوجد سبب وجيه . . . هل اخلاقك الحميدة الطيبة هي التي تمنعك؟

عبق وجه اليانور بحمرة الخجل وقالت بعصبية واضحة:

-... انا لا اريد ان اكون مدينة لك بأي شيء . . . .

- للأسف. كاتي ستقبل مالي بسهولة ولن تعترض.

صمتت اليانور وهي تفكر. كانت واثقة بان كاتي ستقبل ماله دون اي سؤال دون الشعور بوخز الضمير. . . لن يهمها من اين اتى المال قدر ما يهمها ان تحصل عليه لتحل مشكلتها.

توقفت السيارة امام البيت وقال ادوار ساخراً وباختصار:

- حسناً. الآن لا يمكن ان نتهمك بأنك تقتنصين مال الغير.

- اتمنى ذلك. (اكملت بعزة نفس وكبرياء) ربما عدم اهتمام الانسان بالمال شيء مريح. . انا افضل ان اكون سعيدة واشقى بجمع المال من ان اكون تعيسة وغنية.

- اصفق اعجاباً لموقفك النبيل ولكن هل تعتقدين انه بامكانك ان تكوني سعيدة وغنية ايضاً . . . (انتظر جوابها ثم اكمل) واضح ان هذا الأمر ممكن.

- الم نبتعد عن جوهر الموضوع من جديد. لو اخذت مالك . . . سأقبله على سبيل القرض على ان اتعهد بتسديده ذات يوم.

- كيف ستسددينه؟

- لا اعرف بعد. سأجد مكاناً انتقل اليه وبعد ذلك لن اكون ضمن مسؤولية اهلك. وسأفتش عن عمل ما . . .

تنهد ادوار كمن نفد صبره وقال بسرعة:

- لا تكوني سخيفة يا اليانور. اعتقدت انك تريدين اخفاء هذه المشكلة عن والديك . . . واذا تركت منزل آل مانسل. فسيتساءل والداك عن السبب الذي جعلك ترفضين ضيافتنا لك وكانت والدتي قد قبلتك ضيفتنا قدر ما تشائين . . . حتى تقرري ماذا ستفعلين للمستقبل. هل يمكنك ان تتصوري ان والدتي ستسمح لك العيش في غرفة صغيرة بمفردك؟

ـ وكيف سأسدد ديني لك؟
ـ هناك حل. يمكنك ان تعملي في محل الانتيكات.
ـ ولكنني لا افهم اي شيء عن الانتيكات.
ـ يمكنك ان تتعلمي.
ـ ولكنك لا تحتاج لمن يساعدك في المحل.
ـ بل نحتاج، كنا نبحث عن محل من اجل فانيسا لتبدأ عملها منفردة. لقد وجدناه اخيراً. من الممكن ان نقدمك لوالدتي كبديل عن فانيسا.
ـ فهمت . . . وهل فانيسا سعيدة بذلك؟
ـ طبعاً. (توقف عن الكلام) نعم هذه افضل طريقة لحل مشكلتك.
ـ لا تبدو متحمساً.
ـ كنت افضل الا تعملي هناك لأن هذا الأمر سيزيد الأمور تعقيداً.
ـ لا افهم قصدك. انني عاملة نشيطة.
ـ انا متأكد من ذلك يا عزيزتي اليانور ولكنك لا ترين المشاكل حتى لو كانت قرب انفك. . . غير انه الحل الوحيد الممكن في الوقت الحاضر. انا لا اثق بانك لن تذهبي من جديد تفتشين عن عمل. . . ثم سترحب والدتي بمساعدتك لنا في المحل.

انها بريئة وبسيطة. كيف انها لم تفهم انه لا يريدها في المحل لأنه يسكن الطابق العلوي للمحل. . . حريته الشخصية مقدسة ولا يريدها ان تضايقه.
ـ لا تنسي يا اليانور انني صاحب المحل.
ـ لا اظن انك ستسمح لي بذلك يا ادوار. اشكرك على مساعدتك لي. ربما ظننت انني غير ممنونة من مساعدتك. . . على العكس فأنا شاكرة الى الابد.
ـ دعي الأمور تسير سيرها الطبيعي الآن. ولكن اذا كان هناك اي شيء آخر لم تخبريني عنه بعد ارجو ان تفعلي حالاً. . . سنسوي الموضوع برمته وننتهي.

نظرت اليانور من النافذة وهي تفكر. . . نعم اصبح له الحق بالتدخل

في شؤونها الخاصة والعامة . . . بدأ المطر بهمر. قالت يائسة:
- لقد عيل صبرك من آل فارس. اولاً انا ثم شقيقتي كاني. . .
- اعتقد انني استطيع ان احمل المزيد.
- والآن جاء دور. . . دوروثي.
التفت بسرعة نحوها وسأل بعصبية:
- دوروثي؟
- انها شقيقتي الصغرى.
- وما شأنها الآن؟
- انها تمشي نحونا.
استدار ادوار ليرى فتاة صغيرة تمشي نحو السيارة وقد ارتدت قبعة مخملية بللها المطر وثيابها ايضاً مبللة تمشي مشية عسكرية ثابتة. الوقت المتأخر لم يفزعها ابداً. كانت تحمل عنواناً في يدها وتحاول ان تقرأ ارقام المنازل على الشارع. حملت في يد حقيبة المدرسة وفي يد اخرى كماناً، في صندوقه.
قال ادوار ببرود مصطنع:
- هذه هي شقيقتك الصغرى دوروثي؟
- نعم.
- يجب ان تكون الآن في سريرها في يورك؟
- نعم.
فتح ادوار نافذته حين اقتربت الفتاة من السيارة وخاطبها بمرح ظاهر.
- مساء الخير يا دوروثي. ان كنت تبحثين عن شقيقتك اليانور فهي هنا.
نظرت دوروثي الى داخل السيارة وانفرجت اساريرها وهي ترى شقيقتها.
- اليانور. اليست مفاجأة لك رؤيتي؟
قال ادوار ساخراً متشدقاً:
- لماذا تعتقدين ذلك؟ عملك ليس مستغرباً ابداً.
- اوه دوروثي! ماذا تفعلين هنا؟

قال ادوار:
- اشعر ان القصة طويلة ونحتاج لوقت لسماعها، سنكون اكثر راحة ونحن بالداخل.
امسك ادوار بيد دوروثي وقادها الى الباب وفتح لها بمفتاحه.
لم تعرف اليانور اذا كان عليها ان تضحك ام تبكي!

## ٥ - حسب قول شكسبير «من الأفضل لنا ان نبقى غرباء» وها هي اليانور تجد نفسها رويداً رويداً وسط عالم جديد مليء بالمفاجآت على كل صعيد، فقد تحول ادوار الى رب عمل جدي . . . الا في اوقات الفراغ!

قدمت ايف مانسل بعض الساندويشات للزائرة الصغيرة وهي عابسة مهمومة تفكر وقالت:

- لقد قررت الحضور الى لندن دون اعلام والديك من اجل التقدم للامتحان في مادة الموسيقى . . .

مدت دوروثي يدها وتناولت الطعام وهي مسرورة وقالت:

- شكراً . . . انني جائعة جداً والطعام لذيذ.

بدأت تأكل الساندويشات بلهفة وكأن السيدة مانسل لا تنتظر جوابها.

- هذا صحيح. حضرت دون اخبارهم ولكنني كنت واثقة بأن اليانور ستساعدني.

وجدت اليانور نفسها مبلبلة الافكار واختلطت عواطفها بين السخط

والسرور والغضب. . . كانت دوروثي قد وقفت بجانبا ورويا احمر فوقها من ثياب غانيسا بعد ان خلعت ملابسها المبللة. اللون الارجواني يتصادم بقوة مع لون شعرها الأحمر كلون الجزر.

مرت نصف الساعة الأولى منذ وصلت في الاستجواب الذي قام به ادوار. كانت الأسئلة مركزة وقد طرحت بهدوء وترتيب. عاملها معاملة جيدة بلطف وتفهم. ووصلت غانيسا وهو يجد ذلك تجهم ايف. وعندما ترك ادوار امر دوروثي تتولاه والدته بحكمتها. جلس صامتاً في ركن من غرفة الجلوس ولكنه بقي يفكر في حلول مناسبة. بالنسبة الى اليانور فان مشاكل آل فارس لا تنتهي واخرها مشكلة دوروثي جاءت لتزيد الطين بلة في هذه الامسية بالذات. تذكرت قول ادوار ان تصرفاتها تخالف مبادىء حسن الضيافة التي قدمها لها والداه، والآن استدت ضيافة والديه الى شقيقتها الصغرى بدون استئذان. شعرت بانكماش في نفسها وودت لو تنشق الأرض لتبتلعها.

صحيح انها تشعر براحة كبرى بعد ان افضت بمشاكل شقيقتها كلها الى ادوار. . . لقد حل عنها عبء الثمانين جنيهاً وصحيح انه متعجرف ومتكبر ومستبد في رأيه ولكنه قوة يمكن الركون اليها. انه غريب في تصرفاته وتفكيره ويصعب عليها ابداء رأيها فيه بسهولة. التفتت اليانور نحوه واحس بنظراتها الفاحصة، ثم حدق فيها بدوره وابتسم لها. سحبت اليانور نفساً عميقاً وتنهدت وهي تقول في نفسها: ماريسي على حق. ابتسامة ادوار ساحرة خلابة. عندما يبتسم يبدو رجلاً طيباً وخفيف الظل. . . هل هذه هي طبيعته التي يحاول ان يخفيها عن الجميع بجهد؟ كلما رأت ابتسامته الطيبة ترتفع معنوياتها وتشعر بأمان. سرحت اليانور في افكارها واحست بعد فترة بابتسامته تختفي ويرتفع حاجباه بتساؤل. . . احست انها تحدق فيه بشكل ملفت للنظر. استدارت بعد ان سمعت السيدة ايف مانسل تخاطبها قائلة:

- عزيزتي اليانور. هل تعتقدين ان الوقت متأخر للاتصال بوالديك هاتفياً.

نظرت ايف الى دوروثي وهي تشرب فنجاناً من الحليب كأن الأمر لا يعنيها ابداً. قالت دوروثي:

- لا حاجة لذلك. لقد تدبرت الأمر قبل حضوري ووالدي يعتقدان اني في زيارة لصديقة ولن يزعجهم غيابي. قلت لهم اني سأمضي عطلة نهاية الأسبوع عند جين.

قالت اليانور:

- يا عزيزتي دوروثي عملك سخيف. كل شيء ممكن ان يحصل لك وربما لا يعرفون به قبل يوم الاثنين، يوم ينتظرون عودتك الى البيت.

قالت فانيسا:

- الحمدلله لم يحصل لها اي شيء وقد وصلت بالسلامة ولكنها مبللة بالمطر.

قالت دوروثي معترضة:

- ولماذا نتصل بهم الآن... المفروض اني عند صديقتي جين.

قالت اليانور:

- ولكنك لست هناك الآن. سنتصل بهم هذه الليلة بعد اذنك يا سيدة مانسل. ربما يعرفون بغيابها صدفة.

قالت السيدة مانسل:

- حسناً يا عزيزتي. سأتصل بهم فوراً.

قال ادوار يخاطب دوروثي:

- عليك ان تتحملي نتائج اعمالك الجنونية.

قالت فانيسا بلطف وهي تشفق عليها:

- هل تريدين بعض البسكويت بالشوكلاته. خذي قرصين.

ولكن دوروثي نظرت الى اليانور التي كانت تغمزها لتأخذ واحدة فقط.

قال هيو:

- انت تقولين ان معلمة الموسيقى شجعتك على التقدم الى هذا الامتحان لانها توسمت فيك الموهبة الحقيقية وبانك تستطيعين الفوز... واذا نجحت فان نجاحك يؤهلك لنيل منحة دراسية لدخول الجامعة.

قالت دوروثي:

- هذا صحيح... ان نجحت! ولهذا السبب ابقيت هذا الأمر سراً عن والدي. علي اولاً ان انجح في الامتحان. وان نجحت لست واثقة بعد من اني اريد متابعة دراستي لامتهن العزف على الكمان. لقد جمعت ما يكفيني

لرحلة العودة الى يورك بالقطار وانا متأكدة من مساعدة اليانور لي.
قال ادوار:
ـ اليانور الشقيقة الطيبة القلب والتي تتحمل جميع مشاكل الشقيقات.
قالت اليانور:
ـ متى موعد الامتحان؟ في الغد.
قالت دوروثي:
ـ في الواحدة والنصف.
حضرت ايف الى غرفة الجلوس ونظرت اليها اليانور تستفسر منها عن المخابرة الهاتفية مع والديها وقالت:
ـ هل حصلت على الخط؟
ـ نعم تكلمت مع والدك السيد فارس... انه يعرف شيئاً. شرحت له ما حصل بسرعة واختصار واخبرته اننا سنعيدها الى البيت يوم الاحد وطلبت منه ان يستقبلها على المحطة.
سألت دوروثي بلهفة:
ـ هل بدا صوته غاضباً؟
ـ لا. ابداً. كأنه اعتاد شرود فتياته هنا وهناك.
جلست فانيسا بالقرب من هيو الذي حل الكمان يفحصه. وقال:
ـ ما رأيك يا دوروثي باسماعنا لحناً جميلاً.
مرت فانيسا باصابعها تداعب اوتار الكمان بين يدي هيو بطريقة رقيقة.
قالت ايف:
ـ الفتاة متعبة جداً.
ـ قالت دوروثي:
ـ لا. انا لست متعبة ابداً. ماذا ترغبون ان اعزف لكم؟
شعرت اليانور بأن الحاضرين يودون امتحان قدرة دوروثي على العزف. جالت بنظرها في الجميع وتأكد لها حسن نواياهم وسرورهم.
اومأت الى شقيقتها تسمح لها بالعزف وقالت بحزم:
ـ اعزفي لنا لحناً قصيراً. حان وقت نومك وعليك ان تستعدي للغد.
قال ادوار:

- اعزفي لنا المقطوعة التي ستتقدمين بها الى الامتحان.
قالت دوروثي:
- اليانور. اريدك ان ترافقيني في العزف على البيانو.
اخذت دوروثي الكمان من يد هيو ومشت حتى البيانو حيث جلست اليانور تستعد لمرافقتها. نظرت الى النوطة الموسيقية قليلاً وبسرعة درستها واستجمعت ثقتها بنفسها ونظرت الى دوروثي وبدأت تعزف.
وبعد الانتهاء نالت دوروثي تصفيقاً حاداً وتشجيعاً اكيداً. نهضت ايف من مجلسها وقالت تخاطبها:
- عزفك جميل. نتوقع لك النجاح في الغد. حان وقت النوم. هيا يا صغيرتي الى غرفة اليانور حيث وضع لك السيد هيكمان سريراً صغيراً.
نهضت اليانور لتساعدها. طوت النوطة الموسيقية ووضعت الكمان في علبته وسمعت ادوار يتكلم مع هيو:
- ما رأيك يا هيو في عزف الفتاة؟ بدا لي جيداً ولكنني لست حكماً في العزف على الكمان.
قال هيو:
- ولا انا. (انظر الى اليانور) اعتقد ان لديها موهبة تحتاج للصقل. هي تحس وجود الآلة الموسيقية بكيانها والكمان من اصعب الآلات الموسيقية.
قالت اليانور:
- من الصعب ان يتخذ الانسان قراراً ناجحاً وهو في هذا العمر...
قال ادوار:
- دوروثي لا تحتاج لرأي آخر مع رأيها. تتخذ قراراتها بنفسها.
ضحكت اليانور وقالت:
- سأصعد لمساعدتها قبل النوم.
قالت ايف:
- طفلة كلها حيوية ونشاط. انها تنتظرك يا اليانور ولكن لا تتأخري عندها لأنها متعبة ويمكنك الثرثرة معها في الغد.
قالت اليانور:
- كم انت لطيفة يا سيدة مانسل لتتحملي هذا الصبية الجديد. اشكرك كثيراً.

ـ لا لزوم يا عزيزتي. ارحب بوجودها معنا وارحب ايضاً بوجودك انت. انني مسرورة جداً بكما.

قبلتها قبلة سريعة ومفاجئة على خدها ونزلت السلالم.

كانت دوروثي تجلس في سريرها وتنتظر وصول البانور. قالت:

ـ البانور. ان هذا المنزل كبير جداً وقد زين بالفخر المفروشات والسجاد الباهظ الثمن. . . ما اجمل السيارة التي كنت تركبينها. لم اصدق عيني وانا اراك تجلسين فيها ساعة وصلت.

ـ يا دوروثي. لقد افسدت كل شيء.

ضحكت وعانقتها بمحبة اخوية.

ـ اعرف ذلك يا البانور وانا آسفة. عرفت ان عملي طائش منذ جلست في القطار. لكن لم استطع التراجع لأن الوقت اصبح متأخراً للرجوع عن عزمي. انتهى الأمر الآن ولم ينزعج من وجودي احد. شعرت انك مرتبكة من تصرفاتي ولكنني حاولت ان اجيد العزف على الكمان لأسليهم. الم اعزف جيداً؟

ـ نعم. كنت مدهشة بالرغم من كل ما حصل.

ضحكت البانور وغطتها بالحرامات والضافات:

ـ نامي الآن كي ترتاحي لتنجحي في الامتحان غداً. . .

ـ البانور! من هو هيو؟

ـ انه صديق ادوار.

ـ شاب لطيف ولكنني احب ادوار اكثر من الجميع.

نزلت البانور الى غرفة الجلوس واستقبلها هيو وقدم لها كاساً من الشراب المنعش واشار بيده الى الثلاثة: ايف وادوار وفانيسا قرب المدفأة وقال:

ـ مجلس العائلة منعقد. تعالي نجلس هنا نتسلى سوية.

جلست البانور وهي مرهقة وقالت:

ـ هل تمتعتما بالحفلة الموسيقية؟

ـ نعم. كانت حفلة ناجحة ومن المؤسف انك انت وادوار لم ترافقانا. . .

رمته بنظرة عاتبة لأنه كان يغمز من طرف كونها بصحبة ادوار كل

السهرة. . . وقبل ان تتكلم حضرت السيدة ايف مانسل مبتسمة وقالت:
- يا عزيزتي اليانور، انني مسرورة جداً.
نظرت اليانور الى ادوار الذي كان يقف بعيداً مع كاسه. . . .
- اخبرني الآن ادوار انك مستعدة للعمل في المحل لمساعدتنا. ينقصنا الآن موظفان. (التفتت السيدة مانسل الى هيو وقالت) هل اخبرك ادوار انه وجد محلاً لفانيسا وستبدأ في العمل لحسابها الخاص.
هز هيو رأسه نفياً ثم نظر الى فانيسا الواقفة بالقرب من شقيقها ادوار. نظرت الى هيو تبتسم ابتسامة ماكرة ولكنه عاجلها قائلاً:
- لم تخبرني. . .
قالت فانيسا بدلال:
- استطيع ان احتفظ ببعض الاسرار. . . وبالتالي لم يؤكد لي شقيقي البكر هذا الأمر الا منذ لحظات. المحل سيكون قرب سوق كوفنت غاردن ولا يبعد كثيراً عن مكتبك في الوزارة. انتظر منك يا هيو ان تزورني دائماً حتى لا اشعر بالوحدة.
- انت تشعرين بالوحدة؟
نظرت فانيسا الى اليانور وقالت:
- انت كنز ثمين لنا يا اليانور. طريقتك في معاملة الزبائن جيدة. سيشعرون وانت تتحدثين معهم عن احفادهم ويطلعونك على صورهم. . . هذا ما حصل حين ساعدتني في المحل من قبل. ولكن انتبهي يا اليانور من شقيقي. . . تحاشي خداعه لك.
قالت ايف:
- ما هذا الكلام يا فانيسا؟ انا متأكدة ان ادوار لا يخدع احداً ولن يخدع اليانور.
نظرت اليانور اليهما. كان ادوار ينظر اليها ساخراً بينما كانت فانيسا تنظر مازحة.
قالت ايف تخاطب ادوار:
- من المستحسن ان تأخذ اليانور وهوروني الى الاكاديمية غداً.
بقي ادوار صامتاً لفترة وجيزة ثم اجاب:
- اسف جداً يا اماه ولكنني لا استطيع.

عبست ايف وقالت غاضبة:
- الا يمكنك تأجيل عملك؟
قالت اليانور:
- لا اريد ازعاجه. استطيع ان اذهب وحدي.
قال ادوار:
- لا اعتقد يا اماه انني استطيع تأجيل موعدي مع فيليسيتي مادوك.
ضحكت فانيسا بلطف ومكر:
- اوه. انها فيليسيتي اذن.
قالت اليانور:
- لا تهتم لأمري.
قال هيو:
- يسرني اصطحاب اليانور ودوروثي غداً.
نظرت اليه ايف شاكرة مسرورة وهي تبتسم راضية وقالت:
- كم انت لطيف يا هيو! سأترك امر الترتيبات لكما. (نظرت الى ابنتها وقالت غاضبة) حقاً يا فانيسا لا افهم سبباً لكثرة هذا الضحك!
ثم ودعت السيدة مانسل الجميع وانصرفت. قالت فانيسا:
- من الواضح ان والدتي تخطت حدود اللياقة... وانت يا اليانور تعابير وجهك غيفة...
- لا زلت اعتقد انني استطيع ان اتدبر امري بنفسي. (نظرت الى هيو) شكراً يا هيو ولكن...
- سيكون يوماً ممتعاً حقاً برفقة دوروثي. سنتنزه معها ونريها بعض معالم المدينة.
نظر الى ساعته واعتذر وخرج الى بيته. قالت فانيسا:
- سأذهب الى فراشي باكراً.
قال ادوار يعترض طريق اليانور قبل ذهابها ايضاً:
- ان كنت غير متعبة اريد محادثتك ببعض الأمور.
عادت اليانور الى الغرفة وانتظرت حديثه. كان يراقبها بتمعن ويتفحصها كأنه يراها لأول مرة مما جعل حمرة الخجل تكسو وجهها وقال ببطء:

ـ عليك ان تحتاذي طريقة والدتي العزيزة. انها تحب التدخل في شؤون الجميع وتدبر امورنا على ذوقها. ستحتاذين طريقتها. . .
ـ والدتك لطيفة جداً. . .
ـ انتبهي جيداً من آل مانسل. . . وخاصة عندما يتصرفون بلطف. دائماً هناك اسباب وجيهة لذلك. . .
ـ هل تسخر من كل شيء؟
ـ انت تقولين انها سخرية وانا اقول انها واقعية. . . نظراتك الوردية الى الحياة حولك ترعبني حتى الموت.
ـ انت تكره ان تقول انك لطيف. . .
ـ من السهل جداً ان نكون لطفاء حين لا نخسر اي شيء. . . وماذا كنت تنتظرين مني ان افعل؟ هل اطرد دوروثي عن باب البيت؟ افهمك جيداً. انا لست جندياً احمل درعاً حديدياً ولست قديساً. سأدفع الثمانين جنيهاً لأن ذلك عمل سهل جداً بالنسبة الي وحتى لا اسبب لوالدتي بعض الكدر ان علمت بهذا الأمر. . . وبذيوله. (اقترب منها وفك عقدة شعرها وقال) ولماذا برأيك تعقصين شعرك بهذه الطريقة المضحكة كأنك اليتيمة الصغيرة.
ـ عقصته وانا اعمل في المطعم عند لويجي. . . اشكرك على رأيك بي. انت مصمم على ان اكرهك يا ادوار. . . انا لا افهمك ابداً.
ـ هذا افضل. انا لا اريدك ان تفهميني.
ذهب الى الطاولة وتناول سيكارة واشعلها ثم اكمل حديثه بحزم:
ـ تذهبين غداً الى محل لبيع المجوهرات وتستعيدين خاتمك. لقد دفعت بدل قيمة التثمين ولكنهم لن يعيدوه لي بدون الوصل. . . سأذهب في الغد الى محلات هارودز وادفع الثمانين جنيهاً لحساب السيدة سلايد. يمكنك ان تكتبي لشقيقتك كاتي وتخبريها بالأمر. اترك لك مهمة اخبارها عن مصدر المال. واذا رغبت ان تقولي انه مني فأنا لا اريد شكرها ابداً.
ـ حسناً يا ادوار. عمت مساء.
ـ عمت مساء يا اليانور.
حين وصلت الى الباب اضاف بسرعة:
ـ شيء آخر. بشأن عملك في المحل. انت صديقة للعائلة.

ومساعدتك لنا في المحل نعمة كبرى. سندفع لك مقابل اتعابك. ستكون علاقتنا علاقة عمل فقط. هل توافقين؟

ـ نعم. انني اوافق . . . وافهم بالتحديد قصدك. عمت مساء يا ادوار.

دخلت اليانور الى فراشها وهي مرهقة والافكار تتصارع في عقلها. . .

وفي صباح اليوم التالي وجدت دوروثي مغلفاً باسمها فوق البيانو كانت فيه رسالة من ادوار. قالت دوروثي:

ـ انه يرسل لي تمنياته ويتمنى لي حظاً بالنجاح في الامتحان وكذلك يأسف لانه لا يستطيع ان يرافقني بنفسه لأنه على موعد. قال ان علي ان اشتري لنفسي هدية بمناسبة ذكرى هذه الرحلة الى لندن.

نظرت اليانور بداخل المغلف ووجدت ورقة مالية بقيمة خمسة جنيهات استرلينية.

ـ اليانور. لا بد انه شاب فاحش الثراء.

ـ اصمتي يا دوروثي. انه شاب كريم جداً. هيا بنا لنحضر انفسنا قبل ان يحضر هيو.

دخلت اليانور مع دروثي الى غرفتها وساعدتها في ترتيب نفسها وتمشيط شعرها. القت اليانور نظرة على نفسها في المرآة ووجدت انها شاحبة الوجه وهذا ليس مستغرباً. فهي لم تنم دقيقة واحدة الليلة الماضية.

ـ دوروثي. ما رأيك بآل مانسل الآن بعدما تعرفت اليهم عن كثب. هل هم كما وصفتهم لكم في رسائلي؟

ـ تقريباً. السيدة مانسل ورائحتها العطرية الجميلة. اعتقد انها مهذبة ولطيفة مع انها تجادل كثيراً. . . وفانيسا جذابة فاتنة. . . هل يمكنني ان اقص شعري مثلها يا اليانور؟ انا احب ادوار كثيراً . . . ولا شأن للجنيهات بحبي له. . .

ـ لقد كان لطيفاً معك حين وصلت مساء البارحة. . . انت جاهزة الآن. هل لديك منديل نظيف؟ خذي منديلاً من عندي وانتبهي حتى لا تفقديه. . . هيا بنا. حان وقت وصول هيو.

وصلوا الى الاكاديمية الموسيقية ونزلت دوروثي تحمل كمانها ومشى هيو برفقة اليانور يتجولان. كان يشير الى الأماكن المهمة في تجوالهم. دخلا

معرضاً للفنون واخبرها هيو انه التقى فانيسا منذ اسابيع قليلة. قال ان الصور المعروضة اليوم افضل بكثير من الصور التي كانت معروضة في حينه.

- هيو. كم عمرك؟ يمكنك ألا تخبرني ان كنت لا تريدا
- ما سبب سؤالك؟ انا في الواحدة والثلاثين من عمري.
- هل تعتقد ان فارق السنوات العشر بيننا يسبب عائقاً لصداقتنا؟
- طبعاً لا.
- اذن. لماذا تحس ان فارق العمر بين فيليب نولان وفانيسا يجعل علاقتهما غير مرضية. فانيسا تكبرني بستة اشهر فقط وفيليب نولان يصغرك بسنة واحدة. لماذا لا يروقك؟
- وكيف تعرفين انني لا احبه؟
- انت دائماً تتذمر كلما ذكر اسمه!

ضحك هيو وهز رأسه موافقاً.

- لا استطيع ان اتخيله رجلاً مستقيماً... انه لا ينفع فانيسا ابداً.
- انها شابة ناضجة وتستطيع ان تقرر ذلك بنفسها وهي ذكية ومتوازنة ولا اعتقد انها سترمي بنفسها دون تفكير... انت وشقيقها ادوار تريانها شابة غريرة... ولكنها عاقلة وتستطيع ان تتخذ قرارها واذا صممت على شيء فلن يزعزع عزيمتها احد... انظر اليها جيداً يا هيو. لقد كبرت ولم تعد طفلة طائشة.
- اليانور، هل تعتقدين ان فانيسا تهتم حقيقة بفيليب نولان؟
- لا اعرف. لماذا لا تسألها بنفسك؟
- اعوذ بالله. انا لست بهذه الشجاعة. كنت فقط اسالك... ربما هي اخبرتك.

كانت دوروثي تنتظر وصولها خارج المعهد الموسيقي. تبدو مسرورة جداً وقالت ان الامتحان الكتابي كان صعباً للغاية ولكنها اجادت العزف واجرت المقابلة مع المسؤولين بشكل جيد.

عمل هيو جهده ليجعل من هذا اليوم، يوماً مشهوداً، ذهبوا الى المرصد الجوي وشاهدوا النجوم والكواكب ثم دخلوا متحف مدام توسو ودهشت دوروثي لرؤية التماثيل الشمعية وبعد ذلك تناولوا الشاي في مقهى ماسون

وتنقلوا في الاسواق وتفرجوا على الواجهات مما جعل دوروثي شبه مأخوذة بما رأت وشاهدت. بعد العودة الى البيت، ساعدت اليانور دوروثي لتنام في سريرها وعادت الى غرفة الجلوس لتشكر هيو على هذا اليوم السعيد وقالت:

- لن تنسى دوروثي هذا اليوم الرائع في لندن... حتى لو لم تنجح في الامتحان. لقد جعلت منه يوماً للذكرى يا هيو، وانا حقاً مسرورة...

- يمكنك ذلك.

امسك يديها ووضعها على كتفيه وضمها اليه بحنان. بقيا دقائق يبتسمان ثم تعانقا الى ان قال:

- نهاية طيبة ليوم سعيد... اما زلت في ريبة من ان فارق العمر بيننا يقف حجر عثرة في طريق صداقتنا؟

فتح الباب ودخل ادوار... كانت ردة الفعل التلقائية عند اليانور ان تقفز بعيداً عن هيو وبسرعة، ولكنه لم يسمح لها بالابتعاد وظلت بين ذراعيه مسمرة. قال هيو:

- ادوار. لقد عدت باكراً!

- باكراً جداً كما يبدو. هل وجودي يضايق؟

- لا ابداً.

- اهلاً اليانور. هل استمتعت بيومك؟

- نعم. شكراً. لم ننتظر عودتك...

- هكذا يبدو لي.

- والا لكانت دوروثي انتظرتك...

قال هيو:

- هل ترغب ببعض الشاي يا ادوار؟

- نعم.

فتح الباب الخارجي وسمعت جلبة في المدخل. اكمل ادوار كلامه ساخراً:

- لم يحدث في منزل آل مانسل من قبل ان يعود افراد العائلة باكراً مساء ليلة السبت. ما الأمر؟

قال هيو:

ـ حقاً. ان هذا غير مألوف. . . لقد عدنا باكراً من اجل دوروثي وموعد نومها. . . وانت؟ لماذا عدت باكراً يا ادوار؟ (لم يجب ادوار وبقي ينظر مفكراً. . . تابع هيو كلامه) اسمع صوت فانيسا.
ـ ربما جاءت برفقة صديقها. لقد خاب املك يا صديقي.
ـ هذا واضح.
دخلت فانيسا منفرجة الاسارير يتبعها فيليب نولان. ارتبكت اليانور وبان عليها القلق من وجود فيليب وهيو معاً حول فانيسا وكيف ستسير الأمور. وجود ادوار معهم يطمئن لان اخلاقه الحميدة واتزان تفكيره تجعل الأمور اكثر انضباطاً. بدأ هيو يتابع بنظراته تحركات فانيسا اكثر من السابق. . . وظهر على فانيسا الانشراح وهي ترى اهتمام الشابين بها. كانت فاتنة في تنقلاتها وبارعة في تحريك الحديث بنضوج اكيد. حاولت اليانور ان تهتم بفيليب، وكانت تلقاه للمرة الأولى. شاب وسيم، عريض المنكبين متناسق الاطراف ومشعث الشعر غير مرتب، ولونه اشقر لماع. عيناه جريئتان وابتسامته تملأ وجهه. انيق الملبس سهل المعشر ويبدو عليه الخبث. تحدثت اليانور معه في مواضيع شتى ومر الوقت سريعاً وحان موعد الذهاب. اعتذر فيليب وغادر المنزل وكانت فانيسا في وداعها. حين عادت الى الغرفة قال ادوار:
ـ لقد ذهب فيليب باكراً يا فانيسا. لماذا؟ مع انني لا اثق به ابداً. . .
ـ يا شقيقي العزيز، ذهب فيليب ليرتاح. يحتاج للنوم ليهيء نفسه غداً صباحاً لخوض سباق السيارات. سيمر علي باكراً لاصطحابي معه. مساء الخير فأنا ايضاً سآوي الى فراشي باكراً.
مشت اليانور وراءها تريد ان تختفي في غرفتها وترتاح ويبقى ادوار يسهر مع صديقه هيو.
وفي اليوم التالي سألت دوروثي عن ادوار لتودعه قبل سفرها. اشترت لنفسها هدية حسب رغبته. انتقت كتاباً تاريخياً مليئاً بالصور الملونة الجميلة. وبعد رجوعها سألت اليانور عنه وخاب املها لأنها لم تره البارحة.
ـ هل سيعود ادوار للبيت قبل رحيلي الى يورك. اريد ان يوقع لي على هديته.
ـ لا اعتقد انه سيعود الى البيت ولكنني استطيع ان اتصل به تلفونياً. . .

ـ نعم يا اليانور. ارجوك اتصلي به الآن.
قامت اليانور وطلبته على التلفون.
ـ ادوار؟ انا اليانور. آسفة لازعاجك ولكن. . .
ـ انت لا تزعجيني ابداً. . . ما الأمر؟
ـ لا شيء. . . اشترت دوروثي كتاباً تاريخياً هدية منك وهي تستفسر ما ان كنت ستمر على البيت قبل ان نذهب الى المحطة لانها ترغب بتوقيع الكتاب لها كذكرى. قلت لها انني سنسألك . . . هي تفهم انك مشغول. . . لا تهتم للأمر. . .
ـ متى موعد الذهاب الى المحطة.
ـ في الواحدة، ولكن. . .
ـ سامر بكما في الثانية عشرة والنصف تماماً، كونا جاهزتين فوقتي لا يسمح لي بالدخول.
اقفل السماعة قبل ان يسمع شكرها. نادت اليانور دوروثي لتخبرها الانباء السعيدة فوجدتها تقرأ في غرفة المكتب.
ـ قال انه سيحضر.
ـ جيد. هل سيحضر بسيارته الفخمة. سوف اخبر صديقاتي في المدرسة عنها.
وفي تمام الثانية عشرة والنصف كانت اليانور تقف جاهزة هي ودوروثي بانتظار وصول ادوار. وحين شاهدتا السيارة تدخل ركضتا لملاقاته على الفور.
ـ اهلاً ادوار. هل تسمح لي ان اجلس قربك. . . هذا كلبك؟ اليس جميلاً؟
ـ نعم للسؤالين.
كان مسروراً وهو يحدثها. ساعدهما بالدخول مع الاغراض.
لم تكن اليانور بحاجة للكلام في طريقهم الى المحطة لان دوروثي كانت متحمسة وهي تخبر ادوار دقائق احداث اليوم السابق.
ـ من الواضح ان هيو قام بمجهود يشكر عليه البارحة.
نظر ادوار الى اليانور في المرآة بطريقة ساخرة. . . صرخت دوروثي قبل صعودها الى القطار:

ـ ادوار لقد نهيت ان توقع لي على الكتاب الذي اشتريته هدية منك. هيا يا اليانور اعطه قلماً... وقع ادوار الكتاب واضاف اليه بعض الكلمات والتمنيات وقال:
ـ يبدو انك ذواقة في انتقاء الكتب يا دوروثي. هيا اسرعي الى القطار حان الوقت.
عانقت دوروثي اليانور بشدة وكادت تسقط وإياها ارضاً وهي تقول:
ـ وداعاً يا حبيبتي اليانور. لقد اشتقنا اليك كثيراً. متى ستعودين الى البيت؟
ـ لا تكوني طماعة يا دوروثي. بقيت عندكم في يورك وقتاً طويلاً. (نظر الى اليانور وقال) سأصعد مع دوروثي الى القطار. انتظريني على الرصيف.
رأت اليانور ادوار وهو يضع الكمان والحقيبة فوق الرف في القطار وشاهدت لدهشتها دوروثي تعانقه بشدة بينما شد ادوار شعرها مداعباً وابتسم لها.
نظرت دوروثي من نافذة القطار مسرورة للغاية تراقب ادوار ينضم الى اليانور على رصيف المحطة. بدأ القطار يتحرك ببطء اولاً ثم ابتعد تدريجياً عن الانظار.
ـ اعتقد انها ستصل بالسلامة.
ـ لقد تمكنت من الوصول الى لندن بأمان ليلة الجمعة... لقد طلبت من الحارس ان ينتبه اليها حتى تصل الى يورك. اطمئني. قلبك الدافىء سيجلب لك المشاكل العديدة يا شابة. واهلك يستفيدون كثيراً من طيبة قلبك دون حساب.
ـ هل هناك مشكلة في كوني طيبة القلب؟
ـ حتماً، بالنسبة الى الآخرين. اسألي كاتي ودوروثي...
ـ افضل طيبة قلبي على قساوة قلبك...
ـ اوه. وماذا تعرفين عن قلبي يا اليانور؟ لا عليك لا تجيبي... ساعترف بان قلبي ليس رقيقاً او حساساً مثل قلبك.
لماذا ينتهي الأمر بينهما بالجدال؟ لا نريد لهذه الحال ان تدوم بينهما، لديه الحق ان يشكو من طيبة قلبها لانها تسبب له المزيد من المشاكل والتعقيدات. طريق العودة للبيت كانت سريعة. وحين توقف امام البيت

قال لها بسرعة:
- سأراك غداً صباحاً في المحل. اترك المحل عادة قبل وصولك وسأترك لك تعليماتي مكتوبة على المكتب. ربما تحتاجين الى فترة لتعتادي النظام في المحل. غداً سانتظر وصولك لاساعدك. فانيسا تأتي بعد الظهر لمساعدتك هذا الاسبوع. سأترك لك رقم هاتفي اذا احتجت اليه. سيساعدك رون مان بعض الوقت... اعتقد ان هذا كل شيء... هل لديك اسئلة؟

نظرت اليانور خلفها لتجد فيليسيتي تخرج من سيارتها لتجلس في سيارته. صعدت اليانور الى السلالم قبل ان تلتقيها.

... الاسابيع التالية كانت اسهل مما توقعت. بقيت فانيسا تمضي بعض الوقت يومياً بانتظار ان ينتهي العمل في محلها الجديد ويصبح جاهزاً للافتتاح. رون مان ساعدها ساعات اضافية في المحل لتتمكن اليانور من فهم طبيعة العمل. ومع مرور الأيام شعرت بالاستقرار في عملها ووجدت الوقت للتعرف الى المحلات المجاورة واحست براحة واطمئنان.

منذ بداية عملها وضع ادوار حدوداً لتصرفاته معها. وقد اقتصرت علاقته بها في العمل فقط وهذا بالطبع يناسبها. وفي منتصف الاسبوع الثاني سافر ادوار فجأة الى يوغوسلافيا في رحلة عمل ضرورية وهذا ما طمأنها لأنه يثق بمقدرتها على ادارة المحل في غيابه. وهي ايضاً اجتهدت لتبرهن له نجاحها وكفاءتها.

زارت اليانور صديقتها مايسي في المطعم قبل موعد الغداء بقليل. سرت مايسي كثيراً بزيارتها وقالت:
- اليانور. اهلاً بك. تعالي واجلسي هنا. هل تأكلين؟ ماذا ترغبين من الطعام؟
- أهلاً بك يا مايسي. سأتغدى هنا. ماذا تقترحين؟
- الكلاوي مع الخضار... ام هل تفضلين العجة الاسبانية؟
- اليس هذا مضحكاً...؟ لا ارغب في العجة الاسبانية لانها تذكرني بتلك الليلة.
- اكيد. كما تشائين. (حملت لها الكلاوي والخضار ثم جلبت قهوة لهما وجلست معها لتشاركها الحديث) جميل ان استريح قليلاً... هيا اخبريني عن... العجة الاسبانية اكاد احترق شوقاً لسماع التفاصيل. واذا رغبت

الا تخبريني بسأنفهم وضعك.

ـ ليس هناك الشيء الكثير لأخبرك به... كان غاضباً لأنني اشتغلت خادمة دون اعلامه...

ـ عندما شاهدته يسوقك امامه كدت الحق بك لمساعدتك اذا اقتضى الامر. لقد بدا غاضباً حانقاً.

ـ حقاً؟

ـ يومها شعرت اننا لن نراك هنا بعد تلك الليلة... التي زارك فيها صاحب العجة الاسبانية...

ـ اسمه ادوار...

ـ اسم يناسبه. يبدو متميزاً ساحراً مختالاً.

ـ كيف يمكنك وصفه بهذه الصفات المميزة وانت انما رأيته مرة واحدة؟

ـ انه من الاشخاص الذين لا يمكن للانسان نسيانهم بعد ان يراهم ولو مرة واحدة. لا شك انه يفكر فيك كثيراً كي يلحق بك ويهتم بما تفعلين...

ـ هذا ليس صحيحاً يا مايسي.

شرحت لصديقتها وضعها معه باقتضاب وحين انتهت علقت مايسي على الأمر باستغراب قائلة:

ـ امره محير. يبدو كأنه اقطاعي ومتعصب. هل انت متأكدة بأنه لا يحبك؟

ـ متأكدة جداً.

ـ من المؤسف... كنت اهيء نفسي لحفلة زفاف قريبة.

ـ اذا كنت تتكلين علي فسوف تنتظرين لفترة طويلة... فتاة ادوار المفضلة شقراء فاتنة بالاضافة الى العديدات اللواتي يحمن حوله ليبددن السأم عنه ويدخلن بعض التغيير على حياته. (حاولت ان تغير موضوع الحديث فسألتها) كيف حال الصغير جو؟

اخبرتها مايسي عن ابنها ثم ودعت اليانور مايسي وكين صاحب المطعم وخرجت عائدة الى عملها.

في غياب ادوار حضرت ايف الى المحل عدة مرات وجل اهتمامها كان منصباً على الترتيب لعيد ميلاد فانيسا الواحد والعشرين وقد اقترب موعده

ومعظم حديثها يدور حوله. وحين انفردت اليانور بفانيسا في الليل بدأت تحدثها قائلة:
- حدث الموسم هو عيد ميلادك.
- صحيح. والدتي متحمسة جداً والامر لم يعد سراً. حماسها زاد عن حده.
- طبعاً انها مهتمة بالترتيبات والدعوات...
- ربما ولكنني اشعر كأنها تخفي لنا مفاجأة ليوم حفلة عيد ميلادي.
كانت فانيسا ترتاح فوق الاريكة تتصفح مجلات الموضة بينما جلست الياتور على المكتب تكتب رسالتها الاسبوعية لأهلها في يورك.
- الا ترغبين في مفاجأة كبيرة؟
- لا يهم ما اريده... والدتي ترتب مشاريعها دون استشارتنا. والحفلة بالنسبة اليها فرصة سانحة لاذاعة اخر الاشاعات والاقاويل والثرثرات... انها تخرج للعالم اشاعات طنانة رنانة وبحفلة رسمية...
(اكملت فانيسا تصفح المجلات ثم رفعت نظرها واكملت) نظرت الى لائحة المدعوين ومعظمهم لا اكاد اعرفهم.
- الم تدع ايضاً جميع اصدقائك؟
- بالطبع. دعتهم جميعاً. كل شخص من اصحابي مدعو.
- هل فيليب نولان بينهم؟
- طبعاً.
- هل هناك من اعرفه؟
- تعرفين هيو وفيليسيتي مادوك ستكون مع افراد آل مادوك. تربطنا بهم علاقة عمل كما تعرفين. ثم ساعرفك الى ابناء عمومتي الشباب... وهناك ادوار الذي سيعود من سفره قريباً.
توقفت الياتور عن الكتابة وسرحت تفكر بادوار من جديد.
- لقد ذهب شقيقي في رحلة عمل واتمنى ان تثمر سفرته بالمزيد من العلاقات الطيبة بالنسبة الى عملي الجديد. اريد ان اجمع حولي اشخاصاً يهتمون بعرض بضائعهم عندي في المستقبل. تجار وفنانون وكل من عمل في هذا المضمار وخاصة الصناعات الأجنبية.
- يبدو ذلك مثيراً للغاية. انا واثقة من نجاحك. انت تملكين التصميم

الأكيد من اجل النجاح يا فانيسا.
- التصميم وحده لا يكفي للنجاح. . . ربما يساعد عليه. لكن لن اتراجع. . .
بقيت فانيسا سارحة في تفكيرها بينما اكملت اليانور كتابة رسالتها وعم الصمت بينهما. يوم الخميس دخل ادوار الى المحل دون انذار. دخل من الممر الخلفي المرتبط بشقته، يرتدي ثياباً عادية ويبدو تعباً مرهقاً. وكانت اليانور ترافق احدى الزبائن الى الخارج بعد ان اشترت شيئاً من المحل. حين شاهدته رحبت به قائلة:
- ادوار؟ (ابتسمت مرحبة) كيف كانت رحلتك؟
- موفقة شكراً، (دخل مكتبه مسرعاً. لحقت به اليانور ووقفت بالباب. نظر اليها وقال): على فكرة يا اليانور لقد اشاد رون مان بنشاطك ومدح عملك وكفاءتك عندما اتصلت به هاتفياً هذا الصباح. قال انك قديرة في عملك.
شعرت اليانور بمديحه واحمرت وجنتاها خجلاً ودخلت الى المكتب وهي مترفعة.
- ادوار. . . لم يتسن لي الكلام من قبل بشأن راتبي. . .
- اوه. (جلس معتدلاً وبدأ يفتح بعض الملفات فوق المكتب) وماذا بشأنه؟
- ظننت انك ستحتفظ به لاسدد الدين الذي لك بذمتي. . . الم يكن هذا ما اتفقنا عليه. وجدت انك تركت لي الراتب بكامله ولم تحسم ما يتوجب حسمه من اجل الدين.
- قررت ان اترك لك راتبك كل اسبوع من اجل المظاهر. . . لئلا تعرف والدتي. . .
- آه. فهمت. معك حق. ولكنك تدفع لي اكثر مما ينبغي.
- ارجوك. اتركي هذا القرار لي. (نظر اليها واولاها كل اهتمامه) انت لا تقبضين راتبك دون مقابل. اذا كان هذا ما يزعجك. لقد دفعت لك قسماً من الراتب وابقيت قسماً منه لتسديد الدين.
- ولكنني لا زلت اعتقد انك تدفع لي اكثر مما ينبغي. .
- انت تجهلين سلم الرواتب في هذا الجزء من العالم. اتركي الأمر

لحكمي. انا اقرر بذل اتعابك.

- ولكنني اعيش في منزل والديك دون مقابل (اكتسى وجهها خجلاً من جديد).

- يا فتاتي العزيزة. هل بامكانك ان تجادلي هذا الأمر مع والدك؟ انسي هذا الموضوع كلياً يا اليانور. انا واثق بانك كأية امرأة ستجدين ما تصرفين المال عليه. انا راض عن عملك ومسرور بالنتائج. (بدأ يكتب. توقفت عن الكلام وفهمت ان عليها الخروج) الست راضية؟

- نعم. نعم بالتأكيد. فقط...

- تريدين ان تسددي دينك بسرعة كي تعودي الى اهلك!

- لا. انا مسرورة جداً هنا.

- اذن كفي تفكيراً بهذا الموضوع.. وانا افهم جيداً انك لا تريدين قبول صدقة مني. ولكن تدبير العمل في المحل يفيد كلانا على السواء.

- لكنك لم ترغب بوجودي هنا!

- وكذلك انت... كنت غير راغبة في العمل عندي في المحل.

- اذن كلانا يحاول ان يتقبل الوضع الحاضر. (توقف عن الكتابة وسألها بحزم) اليانور... من اين حضرت القطة المرقطة؟

- لا احد في الجوار طالب بها.

- وقد اصبحت ملكك!

- انها لا تسبب لنا اية مشكلة. ثم تصطاد الفئران...

- وماذا بشأن سايكس؟

- لقد تقبل الأمر. عليك ان تهمل القطة انت حتى لا يغار سايكس...

- ابعديها كلياً عن الرفوف حيث تعرض الاثريات.

- حاضر يا ادوار.

اسرعت خارجة من مكتبه قبل ان يغير رأيه. اصرت فانيسا على اصطحابها الى السوق لتفتش عن ثوب جديد لحفلة عيد ميلادها.

- والدتي تصر ان نلبس اجمل الثياب في الحفلة الراقصة. لا اريد ان نخيب املها. انا اصر على شراء ثوب مثير للغاية لك وبعد ذلك سأسلمك لحلاقي ليصفف لك شعرك بطريقة خاصة للمناسبة.

- يا الهي.

ـ اعرف يا اليانور انه ربما ينقصك بعض المال الضروري واذا سمحت اسلفك ما تحتاجين.
ـ شكراً يا فانيسا ولكن لدي ما يكفيني من المال بعد ان بدأت اعمل في المحل.
وبعد ان تجولتا في المحلات قالت اليانور:
ـ كيف كانت ردة فعل ادوار حين اتصلت به هاتفياً تطلبين لي عطلة يوم.
ـ اوه. تفهم الوضع تماماً. وهناك رون مان يساعده. . . انه لا يملكك. واذا احتجت ليوم عطلة فما عليك الا ان تطلبي.
ـ هل تتكلم شقيقة الرئيس هكذا. (ابتسمت مازحة وقالت): انه رئيسي في العمل ولا اريد ان استغل صداقة العائلة في العمل.
ـ عزيزتي اليانور. انت غريبة الاطوار وساذجة. اننا نستفيد من معاونتك لنا.
ـ ربما. ولكنني اتقاضى راتباً عن عملي وليس من اجل التفتيش عن ثوب للحفلة. . .
ـ هنالك علاقة عمل نحترمها. عديني الا تكرري طلبك مرة ثانية قبل ان تستشيريني.
ـ اوه. طيب. (ضحكت) هل تخافين منه يا اليانور؟
ـ اخافه حتى الموت. . . والآن ما رأيك بهذا الثوب؟
ـ لا. اخلعيه. اللون الأسود لا يناسبك. سنفتش عن طلبنا في محل آخر. هيا.
وقفت اليانور ليلة الحفلة بثوبها الجديد ونظرت لنفسها في المرآة. دهشت من شكلها وكادت الا تتعرف الى نفسها. . . لقد صفف لها الحلاق شعرها بطريقة جديدة وجعله حول وجهها المستدير بشكل متناثر وجميل. والثوب الرقيق الناعم يحيط بجسمها النحيل وطياته الخفيفة تضفي عليها انوثة اكيدة. لونه احمر قان ونادراً ما ارتدت مثل هذا اللون. . . ولكن. . . حتماً هي فاتنة وثوبها انيق وشعرها مثير. اخرجت زجاجة العطر وتعطرت بكرم وسخاء. سمعت قرعاً على الباب وظهر ادوار دون انتظار.
ـ اهلاً ادوار. لم اعرف انك حضرت. هل حان وقت الذهاب الى

الحفلة. لقد انتهيت تقريباً من تجهيز نفسي.

استدارت تفتش عن حقيبة السهرة.

ـ مساء الخير يا اليانور. لا تستعجلي نفسك. لقد ارسلت معي فانيسا هذه الاسوارة.

ـ شكراً.

ـ هل اشبكها لك. مشبكها يصعب اغلاقه بسهولة.

مدت اليانور معصمها ببطء وشبك ادوار الاسوارة الفضية حول معصمها. بدت يده السمراء قرب يدها البضة غريبة الشكل. حبست اليانور نفسها واحست الدماء تجري مسرعة في شرايينها بعد ان لامست اصابعه يدها. تذكرت عناقه لها واحساسها المربك الغامض... وهي الآن تشعر باضطراب مماثل. نظرت الى الاسوارة وقالت:

ـ اشكرك يا ادوار. فانيسا لطيفة وذوقها رفيع وقد عرفت ما يلزمني...

نظرت الى نفسها في المرآة من جديد وسألته:

ـ ما رأيك؟

ـكل من يعرفك جيداً لن يغيب عليه شكلك.

ـ هل هذا مديح؟

ـ يا فتاتي العزيزة. انت لست بحاجة للمديح... ومع ذلك نعم كنت امدحك. (نظر الى ساعته) سنغادر الى الحفلة خلال عشر دقائق. احفظي لي رقصة... فأنا اخشى الا يترك لي اولاد عمي فرصة لمراقصتك ولذلك احجز لنفسي منذ الآن.

التقطت اليانور حقيبتها وقبل ان تترك الغرفة القت نظرة اخيرة في المرآة وابتسمت ابتسامة رضى وخرجت تحلم بقضاء امسية سعيدة في الحفلة الكبيرة.

# ٦ - «للقلب احكام لا يقبلها العقل» حسب رأي باسكال. . . غير ان الآخرين يتدخلون احياناً في حياة الناس فيقلبون الأوضاع رأساً على عقب، ولا يعود من السهل ان يعرف الواحد حقيقة شعوره. . .

ازدانت قاعة الرقص بأفخر الزينات من اجل استقبال المدعوين الكثر لحفلة عيد ميلاد فانيسا الحادي والعشرين. غصت الحلبة بالراقصين والراقصات تحت الأضواء الخافتة. تركت فانيسا زمرة اصدقائها وانفردت باليانور جانباً تسألها بلهفة:

- اليانور. هل رأيت هيو؟

- ألم يحضر بعد؟

- لا. ربما نسي موعد حفلة ميلادي.

- لا تكوني سخيفة. وكيف يمكنه ان ينساها وانت دأبت على تذكير الجميع خلال الأسابيع القليلة الفائتة.

- ربما. ولكنك لا تعرفين هيو جيداً. . . اريد ان اكلمه قبل موعد تناول

الانخاب. لقد طلبت منه والدتي ان يلقي كلمة في الحفلة وانا اريد ان اعرف اذا كانت لديه نوادر شنيعة فانني سأحاول ان اثنيه عن عزمه حتى لا يلقيها. (امسكت بذراع اليانور وقالت) هيّا اعرفك بابناء عمي كما وعدتك من قبل.

تنقلت اليانور بين الاصدقاء ورافقتها نظرات الاعجاب في تنقلاتها. كانت قد انتهت من اداء رقصة برفقة احد الشباب حين شاهدت هيو يدخل القاعة.

ـ واخيراً، وصلت. اعتقدت فانيسا انك نسيت موعد حفلة ميلادها. هل التقيتها؟

ـ نعم، وانهالت عليّ عتاباً بما فيه الكفاية، مع انني اعتذرت لها بانشغالي بالعمل، لكنني واثق بانها لم تقبل اعتذاري. (نظر هيو الى حلبة الرقص والتفت اليها مبتسماً) هل ترغبين في الرقص؟

فتح ذراعيه ليستقبلها ودار بها وسط جموع الراقصين. نظرت حولها لترى فانيسا تلوح لهما وهي تراقص فيليب نولان. قالت اليانور بحنان وصدق:

ـ كم هي جميلة!

ـ صحيح ولكنك تنافسينها في الجمال والفتنة.

ـ اشكرك!

ـ هذا من دواعي سروري يا آنسة فارس!

دهشت اليانور وهي تكتشف ان هيو راقص بارع. تمتعت بمراقصته وحين انتهت من الرقص سمعت صوتاً بارداً من ورائها يخاطبها. كان ادوار يقول بخبث:

ـ احذري من الشاب الهادىء يا اليانور. عادة هو ذئب بلباس الحمل.

استدار هيو اليه وقال:

ـ ولكن الذئاب نادراً ما تتحول الى خراف. . . اعذرني يا ادوار ولكنني اريد ان اراقص ايف.

ابتسم هيو وتركها ومشى مبتعداً عنها. احست اليانور بارتباك وحاولت ان تجد ما تقوله لادوار ولكنها لم تجد. . . ودوت الموسيقى من جديد وقال

ادوار:

ـ انها موسيقى رقصة الفالس على ما اعتقد.

جذبها اليه وبدأ يراقصها دون استئذان لم تستغرب اليانور براعة ادوار في الرقص، فشاب في مثل شهرته المفروض ان يكون ماهراً. ومن طرف عينيها لمحت فيليسيتي تختال فخورة مغرورة بنفسها كالطاووس. كانت تنظر اليها بحسد ولؤم. استغربت اليانور نظراتها الكريهة مع انها كانت تستأثر بادوار كل الوقت حتى الآن وفكرت: انها تحسدني على رقصة فالس واحدة... قال ادوار بعد ان انتهى من مراقصتها:

ـ بدأت افهم لماذا تحصلين بشعبية واسعة. لقد تمتعت بمراقصتك يا اليانور واشكرك.

ـ صحيح. نحن نقيم في يورك بعض الحفلات الراقصة بين حين وآخر...

شكرته وانسحبت مسرعة.

ومع مرور الوقت وجدت اليانور العديد من المعجبين حولها ورقصت حتى تعبت. فخرجت الى الشرفة تنشد بعض الراحة. وقفت من بعيد تراقب جموع الراقصين ولمحت فانيسا بثوبها الفضي اللامع وهي ترقص مع والدها. كان انيقاً بشعره الابيض فخوراً جداً بابنته البراقة وقد ابتسم ابتسامة رضى ومحبة.

وبعد ان ارتاحت قليلاً على الشرفة دخلت القاعة من جديد تبحث عن شراب منعش مرت بفيليسيتي مادوك التي رمقتها بنظرة غاضبة وتمتمت بعض الكلمات التي تجاهلتها اليانور وبقيت صامتة. صعقت اليانور. شعرت بذعر مفاجىء. ما الأمر؟ غمرها شعور غريب بعدم الارتياح لما يجري وارتبكت وهي تحاول ان تجد سبباً لتصرفها. وحين دخلت القاعة جذبتها الايدي ووجدت نفسها تدور في رقصة الكونغا مع مجموعة من الراقصين بدون ارادتها. فجأة انفرط العقد وتحللت المجموعة وسرت اليانور لتجد نفسها متحررة من قبضتهم. ضحكت وهي تسترد انفاسها. نظرت قربها لتجد فانيسا تمشي باتجاهها وقد اشرق وجهها بشراً وتكاد تعابيرها تنطق سروراً. قالت اليانور:

ـ اهلا فانيسا. ما الأمر؟

- اليانور . انت ماكرة. (قبلتها بحماس وشدت عليها بمحبة ظاهرة) تعالي، نحن نفتش عليك . . . والدتي تريدك فوراً. ووالدي سعيد للغاية. لم يكن احد منا يصدق ان ذلك سيحصل.

وجدت اليانور نفسها تتبعها وسط الجموع دون ان تعرف السبب.

- فانيسا. مهلاً. ماذا تريدين؟

- تعالي معي. لقد انكشف لنا كل شيء. هيا قولي لادوار: كفاه حماقة . . .

ودت اليانور لو تعرف حقيقة ما يدور حولها. وصلت الى السيدة مانسل التي نظرت اليها والبشر يطفح من وجهها، ثم عانقتها ايف على الفور وهي تقول لها بمودة خالصة:

- يا عزيزتي اليانور. انت لا تعرفين كم انا فرحة ومسرورة. كلنا مبتهجون. . . استطيع ان ابكي الآن من شدة فرحي.

- انت فعلاً تبكين. . .

- هيّا. اقنعي ادوار ان هذه الليلة مناسبة لاعلان الخطوبة. . . انت تتعجبين ولكننا عرفنا كل شيء. . . فانيسا مسرورة مثلنا ولا مانع لديها ان تخطفي الاضواء من حفلتها. لن يزعجها هذا الأمر ابداً.

سأل السيد مانسل:

- اين ادوار؟

قالت فانيسا:

- انه يبحث عن اليانور.

قالت ايف:

- انه عنيد جداً ولا يريد ان يتسبب بالازعاج. ولكنه في النهاية سيرضخ لرغبتك يا عزيزتي. وهو (نظرت ايف خلفها لتجده قادماً). . . اليس كذلك يا ادوار؟

امسك ادوار بها من الخلف ووضع ذقنه على شعرها بحنان. احس بها ترتجف بين ذراعيه بارتباك واضح. قال:

- ما الأمر يا اماه؟

قالت فانيسا بمكر:

- لقد خدعتماني. انت تتكلم عن قدرتها وكفاءتها في العمل وهي

تصرح لي بأنها تخافك... هل يبدو عليها الخوف منه يا اماه؟

قالت ايف بابتسامة:

- طبعاً لا.

ودت اليانور ان تضحك ضحكة هستيرية... انهم لا يعرفون شيئاً عنها. قال ادوار:

- اريد ان اتحدث مع اليانور على انفراد.

قال السيد مانسل:

- نعم يا بني... لا احد يريد ان يؤثر عليك. (استدار نحو زوجته التي كادت تطير من فرحها وقال يخاطبها) اذا كانا لا يرغبان في اعلان الخطوبة هذه الليلة فسنذعن لارادتهما. اليس كذلك يا ايف؟

قال ادوار:

- تعالي يا حبيبتي.

يداه دافئتان حولها ولهجته مطمئنة. مشت كأنها نائمة ونظرات الاستفهام تطاردها. قادها ادوار الى غرفة صغيرة جانبية كانت معدة لاستلام الهدايا بمناسبة عيد ميلاد فانيسا. دفعها الى داخل الغرفة بسرعة وقساوة واغلق الباب بلطف وقال بلهجة غاضبة:

- اهنئك... متى ستتم الفرحة الكبرى؟

- ماذا حصل؟ ماذا يعتقدون...؟

- كنت آمل ان تطلعيني على ما يدور حولنا...

- لا يمكنني... انا لا اعرف ماذا حصل.

كادت تختنق بكلماتها من شدة غيظها.

- يصعب علي تصديق ذلك. كل شيء يبدو جاهزاً... لا يمكن تجاهل التخطيط المحكم.

- ربما... ولكنني لم اخطط لأي شيء.

صرخت غاضبة وامسك بها ادوار بقساوة وهزها هزاً عنيفاً.

- يا الهي. لقد قمت بهذا الدور معك من قبل... لقد تكرر الوضع مرتين... غير معقول. لو كنت واثقاً بانك انت السبب... لكنت...

توقف عن الكلام وزفر زفرة مريرة.

- انت على حق. (شحب وجهها وكادت تسقط مغمياً عليها) اتمنى لو

تبقى يداك بعيدتين عني.
تركها ادوار مجبراً وقال:
- لا استطيع ان اعدك بذلك. كانت ردة الفعل عندي ان اهزك لأخرج روحك من فمك...
- شكراً. (حاولت ان تفرك ذراعها مكان قبضته القاسية) وماذا ستفعل الآن؟
- ماذا تقترحين؟ اجعلي قرارك مقتضباً واسرعي في كلامك حتى لا يعتقدون اننا تزوجنا وهربنا لنمضي شهر العسل.
كان بامكانك ان تنفي الاشاعة..: نعم... لماذا لم تفعل؟
- يا فتاتي العزيزة. هناك مواقف لا يمكن التحكم بها وهذه منها. هل تؤمنين حقاً ان باستطاعتي نفي الاشاعة اصلاً ولم افعل؟ (ضحك بسرعة ومر بيده على شعره). لقد اخبرتني والدتي بوضوح انها استقت معلوماتها من مصادر موثوقة. (اكمل ساخراً يؤكد لها صدقه) ومصادرها هي صديقتها الحميمة كونستانس فارس نفسها.
صعقت اليانور وهي تسمع اقواله واكتسى وجهها بحمرة قانية وقالت:
- والدتي؟
- نعم انها والدتك. (كان يحدق بوجهها ليرى ردة فعلها عن كثب) لا يمكنني ان اخاطب حماة المستقبل واقول: انها كذابة... ولا يمكنني منذ الآن ان اتكهن بطبيعة العلاقة بيننا. (اشعل سيكارة وهو يراقبها بدقة) هل تفهمين المأزق الذي تورطنا فيه. يبدو انك خرست كلياً... هل تعتقدين انني اصدق انك لا تعرفين اي شيء عن هذا الموضوع - مثلي تماماً...
- صدق او لا تصدق ولكن هذه هي الحقيقة ولا يهمني رأيك... كم مرة علي ان اقول لك صراحة انني اكره ان يرتبط اسمي باسمك او بمالك... بالنسبة الي انا لا اهتم بك ولن يغريني مالك بالزواج منك.
- يسرني سماع ذلك.
- انني ارثي لحال الفتاة التي سترضى بك...
- اشعر بعداوة طبيعية ونفور عندما اجبر على وضع لم اختره بنفسي.
ران صمت ثقيل بينهما. كانت عيناه الزرقاوان تحدقان بعينيها العسليتين

في استفهام واضح.
- هل لديك فكرة عملية يا ادوار؟
- لنخرج من هذا المأزق بسهولة... كلا يا عزيزتي اليانور... كل ما نستطيع ان نفعله الآن ان نخرج اليهم ونوافق على اعلان الخطوبة.
- انت لست جاداً فيما تقول؟
- بل. انني اعني ما اقول.
- نعلن الخطوبة امام هذا الحشد من المدعوين... هل هذا افضل اقتراح لديك؟
- انا مستعد لسماع اقتراحك. لقد فكرت كثيراً بالأمر. عليك ان تتذكري ان والدتي القت قنبلتها وهي تقف وسط مجموعة كبيرة من الأهل والأصحاب... حتى لو لم نعلن الخطوبة هذه الليلة فالجميع سيعرفون بأمرها فانا صيد سمين!
- لا اعرف لماذا يعتقد الجميع ذلك.
- ولا انا ايضاً يا عزيزتي. ربما برأي البعض انك انت الصيد السمين وانا سعيد الحظ...
- يمكنني ان استغني عن سخريتك ونكاتك اللاذعة... اشكرك. كما اتمنى ان تكف عن مناداتي بفتاتك العزيزة... انا لست كذلك ولن اكون ابداً... استغرب كيف استطعت ان تتملص من شبكة الزواج لكل هذا الوقت... وكيف تقع الآن في الفخ بهذه السهولة.
- هذا ما يثيرني حقاً... اريد ان اخنق مارغو سلايد اللعينة... واما شقيقتك المجنونة...
- انها ليست مجنونة ابداً. انت بنفسك قلت ان الاشاعة ستموت.
- كان تفكيراً خاطئاً... لقد احترقت انا باللهب.
- اياك ان تتكلم معي هكذا... لو ان والدتك تريثت وسألتنا اولاً... ربما هي التي رتبت كل الخطة.
- كم انت بريئة وبسيطة! صحيح ان والدتي تحاول تزويجي منذ اكثر من خمس سنوات... ربما هي التي اقترحت على والدتك الأمر: ما اجمل ان يقع ابني ادوار بحب ابنتك اليانور.
كان يقلد والدته ونظرت اليه اليانور فزعة ومستغربة وقالت:

- انت تخترع هذه القصة. لا يمكن لوالدتي ان تقبل...
- ولكن والدتي تفعل ذلك ببساطة وعن حسن نية...
- هذا لا يحتمل. علينا ان نواجهها بالحقيقة. لن نقبل.
- هيا لنخرج الى الوجوه التي تنتظرنا. سأراقب الجميع وافهم خبايا اللعبة.
- كف عن التمثيل. انت تعرف انني لا استطيع مجاراتك.
- صحيح. ولكن تمسكي بذراعي وابتسمي. من المفروض اننا خطيبان سعيدان نعيش حلماً وردياً. واذا كان وجهك على هذا النحو سنفشل منذ البداية. سيعتقدون انني اضربك منذ الآن.
- هذا ليس وقت المزاح. يجب ان نجد مخرجاً لائقاً.
- لا يبدو ذلك ممكناً.
- ولكننا على خطأ.
- هذا اكيد. انه خطأ كبير... الا اذا كنت تفضلين ان نجعل من العائلتين مضحكة اجتماعية ومثاراً للسخرية والأقاويل. سنعيش التمثيلية المنزلية لبضعة اسابيع فقط... ثم تخبرين العالم كله انني شاب حقير خسيس متعالٍ واناني وما شابه من الصفات. سيصدقك الجميع (رفع حاجبيه ساخراً) يمكنك ان تصفيني بما ترغبين. لن يلومك احد. هل انت مستعدة للشجار...
فتح الباب لها وخرج واياها ثم تمتم في اذنها يذكرها:
- عليك ان تقومي بدورك في التمثيلية على اكمل وجه.
- ماذا تقصد؟
- نحن الآن نعيش قصة حب (قال متهكماً) وكيف يمكن ان يحصل ذلك لي؟ كم تهربت في السابق من سوق الزواج... سيعتقدون انك غالية الثمن... حقاً ان المودة مفقودة بيننا.
سحبت اليانور ذراعها من قبضته وقالت حانقة:
- افهم شعورك تماماً.
- لا تهتمي. (ابتسم بطريقة ساخرة) انا مشهور بانني استطيع ان احكم برباطة جأشي وتوازني في احلك اللحظات. اكتفي منك بهذه الليلة، ببعض النظرات المحبة.

- صحيح؟ (تمتمت غاضبة حين وصلا الى الباب وسمعا صوت الضجيج) اعتقد انك لا تحس بأي الم... اتمنى لو انني لم ارك في حياتي... انت...

- انتبهي الى لغتك... الغضب يناسبك. كنت مرعبة قبل قليل. والآن اياك ان تصدقي التعابير الرومانسية التي سأصبغها عليك. ثرثري ونحن نتقدم من المدعوين... (جذبها عمداً اليه وعانقها بشغف. وحين رفع رأسه اخيراً قال: فمك الجميل عليه ان يبدو كالثمر حين يحين القطاف... اليس هذا ما هو منتظر منا.

فتح لها الباب وانتظر دخولها.

- شيء واحد فقط.

- ماذا؟

كانت ترتجف حتى الجذور وتتمنى لو يخفي ابتسامته الساحرة عن وجهه.

- لتنطلي الحيلة على الجميع يجب علينا ان نبقي الحقائق بيننا. اياك البوح

★ ★ ★

كانت اليانور تلقي برأسها على مؤخرة المقعد في السيارة وتشعر بألم حاد.

- قليلاً.

تمنت ان ينعدم الحديث بينهما. التفتت تنظر خارج النافذة. السيارة تجوب الشوارع الخالية والظلام حالك والضباب منخفض. ومع ان الحرارة داخل السيارة كانت متوفرة الا ان اليانور شعرت ببرودة قاسية وبتجمد في عقلها وجسمها. لقد تعبت طوال السهرة من كثرة ما اصطنعت الابتسام.

بدأ ادوار يدندن لحناً موسيقياً ناعماً. استدارت اليه علها تعرف بماذا يفكر. كان يقود السيارة بمهارته المعهودة وقد رفع ياقة معطفه ليتقي البرد ويداه القاسيتان على المقود وقد ركز انتباهه على الطريق امامه. شعرت بالكراهية تغمرها. اغمضت عينيها لئلا ترى وجهه. ستنسى مع الوقت

هاتين الساعتين الاخيرتين من الحفلة كما ينسى الانسان الحلم المزعج. . .
قال ادوار:
ـ لقد سارت الأمور على ما يرام.
ـ نعم.
بقيت اليانور مغمضة العينين لئلا تشجعه على الكلام. كانت تحاول حل مشاكلها بتفكير عميق. كما قال ادوار: كل شيء سار على ما يرام. . . لقد شعرت بخطوبة حقيقية. تصرفاته متقنة بشكل جعل كل المدعوين يصدقون ما يجري على انها خطوبة اصيلة وليست تمثيلاً مؤقتاً. . . كرهت اليانور نفسها لهذه المهزلة الخادعة. كانت ساخرة وغاضبة وهي ترى ان لا نهاية واضحة لما يجري.
كان ادوار لا يكف عن المزاح وهو يتكلم بسخريته المعهودة عن وقوعه في فخ الزواج وهو المشهور بالتملص والمراوغة لكن ها هو يستسلم بسهولة وينقاد الى قافلة المتزوجين. . . قالت اليانور في نفسها: كيف يمكنه ان يخدع كل الناس. الا يشعر ببعض الذنب؟ كيف يستطيع ان يخدعها في شعوره نحوها وعلاقته بها؟ الم يكن غاضباً حانقاً حين انفرد بها في الغرفة الجانبية. . . وها هو الآن رابط الجأش متوازن التفكير يثير النكات حوله. . . كيف يمكنه التحكم بمشاعره بسهولة فائقة. . . انه يتجول الآن بين المدعوين والأهل والاصدقاء يتقبل التهاني بسرور بالغ. . . واستطاع ان يهدىء من روعها ويطمئنها بلباقة.
خلال السهرة شدها اليه يراقصها رقصة الفالس الحالمة. دار بها عدة دوارت واسندت رأسها على كتفه بعفوية. وحين انتهت الموسيقى رفعت اليانور رأسها عن كتفه وابتسمت له ابتسامة حالمة واذا به يرمقها بنظرة خبيثة ماكرة اعادتها الى الجو الحقيقي الذي كانت تعيشه. بقيت تقف بين ذراعيه. جذبها بمودة اليه فارتجفت وارتبكت. نظر اليها نظرة غريبة وتغيرت تعابير وجهه كلياً وقال:
ـ لا سبب للمغالاة في تصرفاتك. كدت اتخيل انك امرأة اخرى.
ابتسمت ساخرة وقالت في نفسها: كم من السهل ان يتعلم الانسان الخداع ويقول اشياء بغيضة لا يعنيها. نزلت دموعها دون ارادتها وبسرعة مسحتها وهي تردد في تفكيرها: عليك ان تتعلمي العيش مع هذه

الورطة. . . جمعت ثقتها بنفسها وقالت بصوت هادىء:
ـ ربما كان من الأفضل لو عدت للبيت برفقة والديك.
ـ اين خيالك؟ ينتظر منا ان نتأخر في العودة. نقف قليلاً ونتكلم كلام المحبين ونفعل ما يفعله العشاق و. . . (اوقف سيارته الى جانب الطريق وقرن القول بالفعل. اغلق اضواء السيارة ونظر اليها ساخراً واكمل) علينا الا نخيب ظنهم.
ـ ماذا تقول؟ (ارتجفت واهتزت جزعاً ولفت نفسها بمعطفها اتقاء لاقترابه منها.
جلس ادوار بعيداً عنها ووضع يداً على المقود واخرى خلف مقعده وقد لمعت اسنانه وسط الظلام وقال:
ـ انت حتماً تتعمدين الغباء. اردت فقط ان نمضي الوقت في الحديث عن الحفلة. . . يمكننا ان نقول ان هيو فرجيء. . . الم تلاحظي ذلك؟ لقد خاب ظن اولاد عمي وهم يرونك تهربين من بين براثنهم. . . نستطيع ان نتسلى ونحن نراقب فرح والدتي الحنون وهي ترى نفسها منذ الآن جدة فخورة. . . ربما تنتظر منا ولداً او اكثر. . . هناك العديد من الأمور يمكننا ان نتحدث بها. . . وربما ننهي حديثنا ونقول: اجمالاً كل المدعوين ابتهجوا باعلان الخطوبة ما عدا ابناء عمومتي. . .
ـ لا. ليس الجميع!
رفع ادوار حاجبيه السميكين وقال متعجباً:
ـ اوه، من لم يرق له ذلك؟
ـ صديقتك فيليسيتي.
ـ لماذا تقولين ذلك؟
ـ هذا هو شعوري.
تذكرت اليانور عيني فيليسيتي الخضراوين الغاضبتين وهي تقول بانفعال ظاهر: لا تعتقدي انه باستطاعتك الاحتفاظ به ببراءتك وطرقك المحافظة. . . لن يمكنك. قريباً جداً سيضجر منك ويهملك.
ـ لا يهمني ابداً لها.
ـ حسناً. سأترك امرها لك. ولكن تذكر اتفاقنا على ابقاء الأمر سراً بيننا.

بقيا صامتين فترة. ثم سألها ادوار:
- بماذا تفكرين الآن؟
- كنت افكر بمهارتك في التمثيل... الم تشعر بأي الم؟
- حين كنت صبياً يافعاً احببت التمثيل وساعدتني معلمة التمثيل واهتمت بأمري. اذكرها تقول: لتنجح بالتمثيل عليك ان تفكر اعمق من الكلمات المرسومة امامك. العقل والجسد يشاركان في تقمص الشخصية التي تنوي تمثيلها لتكون ردة الفعل طبيعية عندك. تقبلت نصيحتها وحفظتها...
- دمك بارد يا ادوار. لا تحلم بأن تسمح لنفسك بالتمثيل عليّ.
- عندما امثل... اندم على ما فعلت، كما حصل الآن معنا. (راقب احمرار وجنتيها واضاف بخبث) وانت مثلت دورك يا اليانور باتقان. يمكنني ان امتدح جهودك الجبارة وخاصة انك لم تتمرني على هذا الدور من قبل... كنت فتاتي الحبيبة التي احتمت كلياً داخل ذراعي وابتسامتها ساحرة خلابة واحمرار الخجل يكسو وجهها المشع. حركاتك واستسلام رأسك لكتفي... كل شيء كان متقناً بارعاً.
هذه هي الحقيقة... خافت اليانور من مشاعرها المتدفقة بداخلها. اين اختفى غضبها؟ شعورها لا يفسر وعواطفها مجنونة ومبهمة. هي حقاً تصرفت معه كأنه الحبيب. بلعت ريقها بصعوبة وتنهدت قائلة:
- ارجوك. هل نعود الآن.
نظر الى ساعة يده يستطلعها الوقت:
- اكيد... بدأ الثلج يتساقط. كنت انتظر تساقطه هذه الليلة.
نظرت اليانور من النافذة وشاهدت الثلج فوق زجاج السيارة الأمامية.
- هل تنتظر ان يكون عيد الميلاد ابيض. سيكون ذلك جميلاً وستفرح دوروثي بالثلج. منذ اعوام لم يتساقط الثلج في عيد الميلاد... يوجد خلف منزلنا في يورك تلة صغيرة تصلح للتزلج. هل من الممكن ان يتراكم الثلج؟
- يبدو ذلك واضحاً من توقعات النشرة الجوية حول حال الطقس. لقد بدأ الشمال يرزح تحت طبقة ثلجية رقيقة واستطيع القول ان دوروثي ستستطيع التزلج هذا العام. اليانور هل تريدين ان نمضي عيد الميلاد بين

اهلك؟

- نذهب الى يورك؟

- نعم. الم تشتاقي اليهم؟ سأذهب معك ان رغبت ذلك.

ذكرى بيتها الدافىء والوجوه المألوفة التي اشتقات اليها... كم تحتاج الى حنان البيت واهله. ذكرياتها ملأتها حناناً. ارتجفت من شدة عواطفها وشوقها الى اهلها وشعرت باختناق في حلقها منعها من الكلام.

- لطيف منك ان تقترح علي الذهاب الى البيت ولكنني افضل عدم الذهاب.

مد يده الى وجهها وحاول ان ينظر الى تعابيره وقال:

- انت تحبين الذهاب (تنهد قليلاً ثم اكمل) واذا كان ذهابي معك يقلقك، اذهبي وحدك.

- اذا ذهبت بمفردي فهذا سيثير الشكوك اكثر.

- حقاً. حسبت ان رفقتي هي التي لا تروقك.

- انت الآن تمثل دور الغبي يا ادوار... من المفترض ان نكون عاشقين... وغيابك سيجعل الامر غريباً. ولو ذهبت برفقتك فلن يطول الامر بهم ليكتشفوا خداعنا.

ادار ادوار محرك سيارته من جديد باتجاه البيت دون ان يتبادلا الحديث. كان الثلج يضرب زجاج السيارة وتتجمع كتله بوضوح فوق المساحات الزجاجية التي كانت تعمل بجد لازاحتها. وتابعت السيارة سيرها بتؤدة.

بعد فترة قال ادوار:

- انت حقاً لا تجيدين هذه التمثيلية يا فتاتي العزيزة. لقد اعتاد الناس على اعلان الخطوبة ثم فسخها اذا اقتضى الأمر دون ضجة او استغراب.

- ولكن ذلك ليس رأيك في الموضوع. لقد قلت لي سابقاً ان هذا النوع من العلاقات يبنى على اساس صلب وليس من السهولة فصم عراه. والآن كلامك يخالف تماماً ما قلت.

- ربما. ولكن الاخطاء تحصل دائماً. حتى العازب العنيد والفتاة البريئة يغلطان. يا الهي كفاك حزناً. اهلي واهلك سينسون هذا الامر بسرعة. بالنسبة اليك ستتقدمين منهم بعد فترة بالرجل المناسب والخطيب الأصيل (رماها بنظرة متسائلة) واذا كنت لا تريدين زيارة اهلك فلن اصرَّ عليك.

ربما اطلب منك الكثير في هذه الفترة القصيرة من الخطوبة. ستعتادين على الفكرة مع الوقت ولا تبالين.

ـ اظن انه من الافضل لنا فسخ الخطوبة بأسرع وقت ممكن.

نظر ادوار الى ساعته ثم قال:

ـ مرّ على الخطوبة مئة وثلاثون دقيقة فقط يا اليانور. يستحسن بنا ان نعطي الأمر وقتاً اطول قبل ان نعلن فسخ الخطوبة. (وضع يده بلطف فوق يدها ليهدىء من حركتها العصبية وهي تقلب حقيبة السهرة في حضنها). افهم جيداً ان الفكرة بكاملها بغيضة بالنسبة اليك ولكنك لست الوحيدة التي تتألم. اصبري قليلاً. (هدأت حركتها العصبية وسحب يده بلطف من فوق يدها وسألها) هل من الممكن ان تقبلي بالأمر الواقع ولو لفترة.

ـ كيف تتقبل الوضع بهذه البرودة يا ادوار؟ انا واثقة بانك غاضب اكثر مني.

ـ هذا هو الفرق بيننا يا عزيزتي. انت رومانسية وانا عقلاني. ما حصل قد حصل وانتهى الأمر. علينا ان نقبل الواقع ونقلل من الجدال الذي لا يفيد. ربما سنخرج من هذا المأزق بطريقة سهلة.

بقيا صامتين بعد ذلك حتى وصلا الى المنزل. قال:

ـ يجب عليك الاتصال بأهلك في يورك غداً. اعرف ان الأمر لن يكون سهلاً. ربما باستطاعتك ان ترتبي الأمر لتجيبي على اسئلتهم العديدة.

فتح باب سيارته واسرع ليفتح لها الباب ويساعدها. كان الثلج يتساقط على معطفه الأسود. ساعدها عبر السلالم ليحمي حذاءها من البلل. كل شيء حولهما مظلم وصامت.

ـ عمت مساء يا اليانور.

مر بيده على شعرها ليمسح كتل الثلج عنه ثم رفع وجهها اليه ونظر الى عينيها وقال:

ـ حاولي النوم. غداً صباحاً ستكون الأمور افضل.

صعدت اليانور السلالم ببطء. خلعت ثيابها واستعدت للنوم. حاولت الا تفكر ابداً بما حصل ولكن ما ان دخلت سريرها حتى داهمتها الافكار من كل صوب واستعرضت شريط السهرة. وبقيت تصارع القلق حتى ساعات الصباح الأولى حين غفت مرهقة من كثرة التفكير.

في الصباح بقيت تعمل في المحل وتتقبل التهاني وترد على بعض الاسئلة حول الخطوبة وملابساتها. حضر ادوار ومعه كلبه سايكس وكانت تطعم قطتها بعض الحليب.

- اهلاً ادوار (لم تنظر اليه) القطة جام افضل بكثير. شعرها يلمع وهي اسمن.

- هذا طبيعي لكثرة الطعام الذي تقدمينه لها يومياً. اراهنك انها لم تحاول اصطياد فأرة واحدة منذ ايام. (نظر الى شحوبها والسواد المحيط بعينيها ولكنه لم يعقب).

- انها جائعة دائماً. (مرت بيدها على ظهر القطة بحنان). كل حي يتمنى لمسة حنان وعطف.

تبعت ادوار الى المكتب وهي قلقة حول ما ستقول لوالديها على الهاتف.

- تعالي نصعد الى الشقة لتتصلي باهلك من هناك. سيكون الأمر اسهل وتشعرين بحرية اكثر. يستطيع رون مان ان يتولى شؤون المحل في غيابك.

عندما دخل شقته خلع سترته وحل ربطة عنقه وقال:

- هل لديك مانع ان اغير ثيابي واستحم بينما تصنعين لنا الشاي يا فتاتي الطيبة. سأدخل الحمام وآخذ دوشاً ثم اغير ملابسي.

دخل بسرعة الى غرفة النوم وترك الباب مفتوحاً قليلاً بينما دخلت اليانور المطبخ تحاول ان تتدبر امرها بصعوبة. كانت تسمع حركته في غرفته. يفتح درجاً ويغلق آخر وصوت الماء يتساقط... اصوات عادية لحركته الطبيعية في شقته. انه يرتاح كلياً في محيطه. وقفت في المطبخ تنتظر الماء ليغلي. سمعت رنين الهاتف. ومن الطبيعي ان رنينه لم يصل لسمع ادوار وهو تحت ماء الدوش. رفعت اليانور السماعة مترددة. سمعت صوتاً انثوياً يقول:

- ادوار.. اريد ان اكلمك.

كان صوت فيليسيتي. عرفت اليانور على الفور وقالت بهدوء:

- آسفة. ادوار يأخذ دوشاً في هذه اللحظة. هل تودين ان تتركي له رسالة ام ترغبين ان اطلب منه ان يتصل بك.

سحبت فيليسيتي نفساً عميقاً ثم اقفلت السماعة دون ان تنبس ببنت

شفة.

إعادت اليانور السماعة ببطء وعادت الى المطبخ وحملت صينية الشاي الى غرفة الجلوس. دخل ادوار لامع البشرة ولا يزال شعره مبللاً. وضع سترته على ظهر الكرسي ثم شرع يلبس ساعة يده.

- ادوار. بينما كنت في الحمام رن جرس الهاتف. كانت مخابرة لك.

- نعم.

- اعتقد انها فيليسيتي ولكنها اغلقت السماعة... عندما سمعت صوتي.

تجمد ادوار لحظة وصمت دون كلام وسرح في التفكير ثم قال:

- كنت اريد الاتصال بها اليوم. سأفعل في وقت لاحق. هل اتصلت بأهلك. (رفع حاجبيه مستفسراً) هل كانت المكالمة صعبة كما توقعت.

- لا.

- هل انت واثقة. الحمدلله انتهت معضلة صعبة، وماذا استنتجت؟

حملت اليانور فنجان الشاي ومشت حتى النافذة وقد ادارت ظهرها له ونظرت الى الخارج وبدأت تتكلم ببطء شديد وهي تتعثر بالكلمات... لقد رتبت كلماتها واعادتها في فكرها عدة مرات. قالت:

- اكتشفت من حديثي مع اهلي ان ما حصل ليس بفعل شخص واحد معين بل بفعل سلسلة من الأحداث كلها مترابطة. طبعاً بدأت القصة مع شقيقتي كاتي. ثم آل سلايد والروابط العائلية بينكما. كان يمكننا ان نتصرف مع مارغو سلايد... ولكنك رفضت ذلك يا ادوار...

- وافقنا على ذلك سوية ولا يفيد الآن اللوم او تبادل الاتهامات بيننا.

سحبت اليانور نفساً عميقاً واكملت:

- اتذكر انك قلت لي: انني حرة. يمكنك اخبار كاتي بأمر الثمانين جنيهاً. فكرت بالأمر ووجدت انه من الأفضل اعلامها بالحقيقة. كنت ممنونة من مساعدتك ورأيت من واجبي اعلام كاتي بالشخص الذي انقذها من ورطتها في محنتها... واعتقدت انها بالنهاية ستعرف الحقيقة ولن تخفى عليها طويلاً... وقلت انك لا تريد منها شكراً، (نظرت اليه اليانور ورأته استلقى على الكرسي وظهره الى الوراء وقد اغمض عينيه وهو يفكر بما

يسمع فاكملت) كان علي ان اشرح ما حصل بتفصيل اكثر . . . لم اذكر لهم انني اعمل عندك لأسدد الدين. ربما كنت على خطأ ولكنني اعتقدت ان على كاتي ان تفكر بتسديد الدين ولو بعد فترة ولذلك قلت لها انه سبب للعجلة. . . نحن آل فارس على شيء من المحافظة في تفكيرنا. . . وبعد ان ارتاحت كاتي لحل مشكلتها اعترفت لوالديها بكل شيء. . .

- يا الهي. ولماذا لم تخبرهم بالأمر منذ البداية؟

- اعترفت بالحقيقة ولكنها لم تطلب منهم مالاً. . .

- اكملي. اين الخطأ؟

- ربما يصعب عليك الفهم. عليك ان تتخيل نفسك فرداً من آل فارس يعيش عيشة بسيطة. دخل والدي بالكاد يكفي لسد الحاجات الضرورية في الحياة. (عبست وهي تفتش عن الكلمات الصحيحة) ثمانون جنيهاً بالنسبة الينا مبلغ كبير ولا يمكن لاحد ان يهب هذا المبلغ بدون مقابل. واعطاؤك المال لي يعتبر بادرة فريدة ولا يبررها الا شيء واحد - انك تحبني. . .

- اكملي. انا اعتبر الآن نفسي فرداً من عائلتك. . .

- لا يوجد الكثير لأقوله. . . انتظروا ان اخبرهم عن حبي في رسائلي لهم. . . وحين لم اذكر اي شيء من هذا القبيل، كتبت والدتي تستفسر من والدتك. . .

- صحيح؟

- ربما ذهبت والدتك واجتمعت بمارغو سلايد تستفسرها حقيقة الشائعة التي اطلقتها. ثم اتصلت والدتك بوالدتي واكدت لها الفكرة بناء لشائعة مارغو. . . ومن هنا كلمة ومن هناك حادثة وتمادت والدتك. . .

- نعم. ارادت ان تجبر العصفورين الحبيبين على التصريح بحبهما بطريقة لا تقهر. . . وقد برهنت عن نجاح خططها.

نهض ادوار وفتح حقيبته الموجودة على الطاولة وقال:

- لسنا في وضع افضل بعد ان اكتشفنا بعض الحقائق والملابسات. . . ربما نشعر ببعض الراحة الفكرية ونخفف من الاسئلة. . . لقد اتضح الأمر الآن. (كان يتكلم ساخراً. اخرج من حقيبته علبة صغيرة). اقدم اليك خاتم الخطوبة. ساعدتني في اختياره فانيسا واتمنى ان يكون قياسه مناسباً.

مد يده بالعلبة اليها. نظرت اليانور الى العلبة فزعة وقالت:
ـ لا اريده. لم اعتقد ان هناك خاتم خطوبة.
ـ اذا قبلت بالخطوبة فلا بد من ارتداء الخاتم يا اليانور. انت تعرفين شدة حرصي على المظاهر وتقيدي بالاصول المعترف بها. لقد وافقت ولا يمكنك ان تعارضي على شيء سخيف كخاتم الخطوبة. (حمله بين يديه وقال) اظن انه سيروقك. حجر كريم من الياقوت الأحمر في اطار اثري قديم. والياقوت يناسبك. لم يكلفني كثيراً (اضاف بسرعة) ولا تحملي ضميرك الشعور بالذنب من اجل حسابي في البنك. انا افهم ان المال بالنسبة اليك شيء مهم...
ـ ماذا تقصد؟
ـ عرفتك منذ اسابيع وبدأت اتعلم طرقك ومشاعرك. انت تحبين الاشياء الجميلة ولكن رأي الناس باخلاقك له اهميته... انت لست مبذرة. (دفع الخاتم في اصبعها ونظر اليه في يدها) انه يناسبك وقياسه مضبوط. هل اعجبك؟
ـ انه جميل جداً (نظرت الى يدها بين يديه والياقوتة تشع بألوانها الفرحة) لماذا اخترت الياقوت.
ـ اوه. (ترك يدها ومشى دون اكتراث وقال) هناك اكثر من مثل في سفر الامثال يتناول الياقوت واللآلىء... وربما تأثرت بلون ثوبك الاحمر... لكن يمكنني ان ابدله.
ـ لا. احببته كثيراً. ثم ... لا لزوم لتغييره. اعني انني لن البسه لفترة طويلة... اليس كذلك؟ هو لا يعني... لي ... شيئاً...
ـ تماماً.
ـ ادوار. هناك شيء آخر يجب ان تعرفه. بعد ان عرف والدي بأمر الثمانين جنيهاً شرع بايجاد وسيلة لتوفير المال وارساله اليك ولكن كاتي اقنعته بالانتظار حتى يسمعوا مني الاخبار. تردد قليلاً ثم وافقها الرأي... وحين شرحت له عن عملي عندك... ارتاح. انه يشكرك. سيتصل بك والدي هذا المساء... هل ستتكلم معه يا ادوار؟
ـ طبعاً. سأتكلم معه كما ينتظر مني. (نظر الى ساعته) هيا بنا الى المنزل. سانتظرك لترتدي ثوبك الأحمر ونذهب لنأكل في مطعم. اعتقد انك لم

تتناولي اي طعام اليوم. سنذهب الى مطعم فرنسي ونطلب من فانيسا وهيو مرافقتنا. نتظاهر بأننا نحتفل بمناسبة خاتم الخطوبة... ما رأيك؟

اذا قرر ادوار القيام بعمل ما فانه يتقنه ويتابعه للنهاية...

٧ - يقول شكسبير «ما اتعس الانسان الذي ينظر الى السعادة بمنظار الآخرين فقط» وتشاء المصادفات القاسية والظروف الطارئة ان يشاهد هيو سعادته بمنظاره هو أخيراً عارفاً حقيقة مشاعر فانيسا. . . اما اليانور فقد سقطت في الظلام!

توجت اليانور سعادتها صباح عيد الميلاد بمكالمة هاتفية من أهلها. كانت سعيدة في حياتها وسط عائلتها الجديدة ـ آل مانسل، ووجدت نفسها منهمكة في الاستقبالات والمعايدات ومرّت العطلة بسرعة وهناء. كان الثلج قد تجمع في طبقة فوق سطح الارض مما جعل العيد ابيض كما تمنت. ومع حلول شباط /فبراير وبفعل تساقط المطر تحول الثلج الى جداول.

مرت الاسابيع سدى وتمنت اليانور ان تعتاد على الخطوبة الكاذبة ولكنها بقيت تتفرج على الخاتم في اصبعها وتتذكر اللعبة القذرة التي شاركت فيها. خلال فترة العمل في المحل كان من السهل عليها ان تنسى ولكن وجودها مع الناس يحتم عليها التظاهر وهي تمثل دور الخطيبة الحبيبة. . . مما يربكها ويكدرها ان يتلفظ ادوار ببعض عبارات الغزل او يقوم بحركة ودية نحوها

كما هو منتظر منه. كل من حولها يقبل كلماته وحركاته على انها طبيعية ويصدقون تودده لها على انه الحقيقة التي تربط علاقتهما.

كانت فيليسيتي الوحيدة التي ترفض قبول الخطوبة. وفي اكثر من مناسبة كانت تتصرف صوريا على انها مسرورة بخطوبتهما بينما عيناها الخضراوان تحملان اشارة كره وحسد لم تخف على اليانور. كانت فيليسيتي تصر على ان خاتم الخطوبة لا يمكن ان يقف حجر عثرة امام حصولها على رغباتها في الحياة.

انتقلت فانيسا للعمل في محلها الجديد ونادرا ما كانت تمر باليانور في المحل القديم. وذات امسية من شباط/فبراير اخبر ادوار اليانور وبطريقة عفوية حين كانا برفقة والديه انه وجد لها معلما ليساعدها في دراسة فن الرسم. كانوا يمضون امسية في مشاهدة مسرحية جديدة. وعند عودتهم قرر ادوار انه يرغب في تناول القهوة قبل الذهاب الى شقته. وحين سمعت اليانور قراره لم تتمكن الا ان تشكره على اهتمامه بدراستها بطريقة لطيفة. وبعدما انسحب والداه ليرتاحا في غرفتهما وتركاهما في غرفة المكتب وجدت اليانور ان عليها ان تبحث امر استاذ فن الرسم معه بالتفصيل.

جو المكتب دافىء استلقى ادوار على الاريكة بثقله بعدما خلع سترته وفك ربطة عنقه والازرار العليا من قميصه. وضع يديه خلف رأسه واغمض عينيه يستمتع بموسيقى شوبان وحين انتهت الاسطوانة قالت له اليانور:

ـ هل اضع لك اسطوانه اخرى يا ادوار؟

ـ لا. الا اذا كنت انت تريدين سماع شيء معين.

هزت اليانور رأسها نفيا وحملت الاسطوانة ووضعتها داخل غلافها.

ـ اشكرك يا ادوار على الوردة الحمراء.

كان قد اهداها اياها وشبكتها في ثوبها على صدرها. فكتها ووضعتها في زهرية صغيرة فيها بعض الماء.

ـ وردة جميلة لوردة. (تعجبت اليانور كيف انه تذكر اسمها الآخر ـ روز وهي لا تستعملها ابداً).

الجو هادىء وحالم والسلام بينهما نعمة. كانت تكره اليانور ان تعكر صفو الجو ولكنها وجدت نفسها مجبرة على فتح موضوع الاستاذ. . . بدأت

تتكلم بتردد:

- بشأن دراسة فن الرسم...

قال متكاسلا ناظراً اليها بعينيه الزرقاوين الحادتين.

- اعتقدت انك لن تفاتحيني بهذا الموضوع ابداً...

- لم ارغب في بحثه بحضور والديك. المفروض انني اعمل في المحل ولا ادرس فن الرسم...

- يمكنك ان تقومي بالعملين معا.

- اذن عليك ان تحسم من راتبي...

- طيب.

نظرت اليه باستغراب وهي تشك بأنه سيحسم لها فعلا. قالت له دون اكتراث.

- ولماذا وافقت بسرعة دون معركة او جدال؟

ابتسم لها ساخرا وقال:

- انني ماكر وداهية يا عزيزتي.

- لا اعتقد ذلك. لقد دفعت للسيدة التي تساعدك بعض الوقت رواتب الاسابيع التي غابتها عن العمل بسبب كسر رجلها... وهذا ليس مكرا. انت لا تهتم للمال ابداً.

- حسنا. لنقل انني ارغب في هدنة بيننا. ضجرت من المعارك واريد السلام والهدوء قدر المستطاع.

تمنت اليانور لو تستطيع ان تقرأ ما يدور في عقله بسهولة. هل باستطاعتها ان تسأله عن موضوع فسخ الخطوبة... آخر مرة فتحت له الموضوع قال ان عليه ان يخطط لذلك كما يخططون للمعارك الحربية... سيخبرها في حينه توقيت بداية المعركة. لم تثق بكلامه لانه دائما يمزح ومزاحه ساخر. لم يذكر هذا الموضوع بعد ذلك ابدا. اليوم يبدو ادوار سعيدا ومزاجه هادىء ولن تفسد عليه سعادته ببحث امر فسخ الخطوبة. حملت فناجين القهوة الى الصينية. قال ادوار دون اكتراث:

- هناك هدية لك على المكتب.

- لي انا؟

هز رأسه موافقا. عبست وقالت وهي مهمومة:

ـ انت تعرف انني لا اريد هداياك. لقد اتفقنا...
ـ انت وحدك اتفقت. (اغمض عينيه من جديد وكأن ملامحها لا يعنيه) لا اريدك ان تصفيني بالبخيل يا اليانور. لي سمعتي التي ارغب بالمحافظة عليها. لا تحرميني سعادتي الآن وسروري بالشجار حول امور تافهة. هيا افتحيها وتمتعي بها ولا تفكري ان الهدية مني تزعجك وتفسد عليك مَتعتك.

فتحت اليانور الرزمة الكبيرة الثقيلة وهي تشعر بحماس وسرور. وضعتها على الارض وفكت الاشرطة من حولها بتأن.

ـ اوه يا ادوار. هدية جميلة للغاية. كيف سأستخدم كل هذه الالوان وادوات الرسم والقماش...

ـ هل تناسبك؟

ـ انها ممتازة. (نظرت اليه خائفة وسألته جادة) هل اشتريت لي كل ما في المحل؟

قال بتراخ:

ـ سألت البائعة ان تساعدني في شراء ما تحتاجه فنانة مبتدئة من ادوات للرسم.

ـ وهل انت مؤمن ان باستطاعتي النجاح في فن الرسم؟ انا اعرفك جيداً. لقد اتفقت مع افضل اساتذة الفن لمساعدتي في دراستي.

ـ انه مارك ايف. لقد سلمته بعضا من رسوماتك وبدا مهتما كثيرا بها.

ـ صحيح؟ (احمرت اليانور خجلا وسروراً وحماساً) كم انت كريم. ومع ذلك لا تحب ان تشكر على افعالك. انك تجعل الامر صعباً جدا علي.

ـ لااحب تضييع الوقت!

ـ وانا اريد ان اشكرك بطريقتي الخاصة.

مشت اليه بدلال وانحنت تعانقه شاكرة بعفوية. وضعت اليانور يديها على صدره وحدقت بعينيه الزرقاوين واحست ضربات قلبه السريعة تحت يدها كما كانت ضربات قلبها تسرع بشكل مخيف. بقيت تنظر اليه لفترة طويلة واخذت نفسا عميقا قبل ان تقوم بالحركة التالية التي ادت هذه المرة الى عناق اطول واكثر انفعالاً.

طار شعر اليانور حول رأسها بينما اشعة النار في الموقد تلمع فوق شعر

ادوار الاسود. لقد شعرت انه ليس باستطاعتها التراجع ابدا. فهي تحبه حبا اكيدا ومستعدة ان تعطيه كل حبها. تجاوبت مع لمساته ببراءة اكيدة وكرم. اعلنت له حبها عمليا دون ان تفصح عنه بالكلمات. لمساتها تقول انها تحبه وعناقها يؤكد حبها. لقد سحقها سحقا وذوبها في رقته.

وفي هدأة الليل وهي في غرفة نومها جلست تتذكر تلك اللحظات السعيدة. ذكراها اخافتها واثارتها واغضبتها. لقد انجرفت معه في التيار حيث لا وجود للعقل وخافت مما وصلت اليه. خافت من سيطرة عواطفها على عقلها كليا: اختفت ارادتها كليا وسلب عقلها. لقد عرف ادوار حتما ما حصل لها حتى المعرفة حتى تصرفت راضية مبتهجة. . . ماذا كان سيحصل لو لم يرن جرس الهاتف فجأة ويعيدهما الى صوابهما؟ ربما لا شيء ابدا لأن ادوار ليس شابا طائشا ولا يمكن ان تجرفه اللحظة اوتتحكم بعقله. كان لا بد ان يستفيق من غيبوبته الحالمة قبل فوات الاوان. . . .

رن جرس الهاتف في غرفة المكتب. تسمرا في وضعهما. بقيا صامتين لدقيقة يستمعان الى رنينه. نهض ادوار ونظر اليها. تراجع في داخل نفسه وابتعد خائفا. اغمضت عينيها لئلا يقرأ بعينيه ما تقوله عيناها بصدق وصراحة. نهض ومشى الى الطاولة ورفع السماعة وتكلم ببرود اكيدة متمتما بعض الكلمات القصيرة. كانت اليانور تراقبه شبه مغلقة العينين بنهم وقد استبد بها الندم، تتفرس فيه كأنها لن تراه بعد اليوم. ضحك ادوار ضحكة باهتة وهو يتكلم على الهاتف. رد بيده الاخرى خصلات الشعر عن جبهته. ضحكت اليانور في سرها ونهضت ومالت برأسها الى الاريكة وهي تحدق بنار الموقد دون ان ترى اي شيء.

سمعت صوت الهاتف يصمت. استدار اليها بقامته المديدة وقال:

ـ يا للشيطان! لماذا لعبنا هذا الدور! ربما ستصدقين بعد ذلك. . . ولكنني رجل من لحم ودم وانت تمثلين امامي دور سيدتي الجميلة وتتقنين التمثيل.

رفع ذقنها بيده واجبرها ان تنظر اليه ليراقب ردة الفعل عندها وقال:

ـ كان عليّ ان اعرف ان حنان قلبك وطيبته ستجلب لنا المتاعب. الاقرار بالفضل وعرفان الجميل لعبة خطرة يا عزيزتي وتترك في الفم طعما مراً.

ـ لن تلعب هذه اللعبة يا ادوار. لن نفسد السلام بيننا. (ابتسمت ابتسامة باهته) لا تهتم يا ادوار. انا اعرف قواعد اللعبة كما تعرفها انت.
ـ صحيح؟
هزت رأسها موافقة واعطته ربطة عنقه التي خلعها في بداية الامسية.
ـ هل تسمح لي بربطها (حاولت ان تصل اليه ولكنها فشلت) عليك ان تجلس يا ادوار فانت طويل القامة. (جلس على طرف الاريكة وسمح لها بعقد ربطة عنقه بعد ان اقفلت له ازار قميصه.)
ـ اظن يا اليانور ان لديك قوانين خاصة.
ـ لا. انا لست فريدة عصري. هناك الكثيرات من صديقاتك يجدن عقد ربطة العنق مثلي.
ـ انت لست واحدة من صديقاتي اذن؟
ـ لا استطيع ان اضف نفسي معهن. انت تختار صديقاتك. هناك حرية للاختيار في عملك. وما فعلناه نحن يخلو من حرية الاختيار. لقد نفذنا خططا وضعت للايقاع بنا. اعرف كم كان الامر مريعا بالنسبة اليك. لقد احتملت وجودي طويلا. انا اضجرك بل انني عبء ثقيل على صداقاتك مع الفتيات الاخريات. هل نستطيع ان نضع حدا لهذه المهزلة ـ الخطوبة.
ـ سنبحث في هذا الامر في وقت لاحق... ولكن ليس في هذه الليلة.
ـ كما تريد.
فتشت عن حذائها ولم تجده. لقد ضاع.
ـ كانت فيليسيتي على الهاتف. (ناولها حذاءها)
ـ صحيح؟
اليس سخيفا ان تكون هي التي فرقت بينهما وقطعت عليهما اجمل لحظات السعادة. لقد اعادتهما إلى رشدهما...
ـ كانت تؤكد دعوتها لنا لنمضي عطلة الاسبوع عندها. لقد دعت هيو وفانيسا ايضا.
ـ سيكون ذلك مسلياً. عمت مساء يا ادوار وشكرا على هديتك. سأعمل بجد واجتهاد لابرهن لك انني جديرة بثقتك الغالية.
ـ عمت مساء يا اليانور.
وفي الصباح وجدت اليانور نفسها مشغولة وباتخاذ بعض القرارات.

نسيت ادوار ونسيت مارك ايف استاذ الرسم ونسيت اهلها في يورك. هذا النهار يناسب مزاجها. المطر ينهمر بسخاء وحين وصلت الى المحل وجدت ان ادوار غادر الى فرنسا لكنه ترك لها عنوان مارك ايف مع بقية التعليمات الضرورية لعملها. حضرت السيدة مانسل الى المحل ومعها بضاعة جديدة اشترتها من المزادات.

- يا عزيزتي اليانور. يبدو عليك الارهاق. ابني عديم التفكير ليسهرك حتى وقت متأخر كل يوم (ربتت على خدها بحنان) عليكما ان تتزوجا بسرعة لتعيشا في منزلكما بدلا من المماطلة. لقد حاولت ان امنع نفسي من التدخل في شؤونكما ولكن. . . هل قررتما موعد الزفاف؟

شعرت اليانور بالدماء الحارة تسرع الى وجنتيها وتكسوهما بحمرة الخجل.

- لا. اردت ان افسح المجال لشقيقتي كاتي لتسبقني في الزواج.

- لا تتركيه ينتظر طويلا يا عزيزتي. انه لا يعرف الصبر. واعجب كيف انه لم يستعجلك لاتمام مراسيم الزواج بعد. حقا لم اكن لاصدق ايضا ان اراه يوافق على دخول جنة الزواج. . . هل في نيتكما ان تتزوجا سرا في احد مكاتب الزواج؟

ضحكت اليانور وهزت رأسها نفيا. بدأت تشعر بالذنب وهي ترى سعادة السيدة مانسل بالخطوبة وتتذكر كم سيخيب ظنها عندما تفسخ الخطوبة قريباً. هناك صراع في داخلها. جزء منها ينوح على التأخير والجزء الآخر الانثوي الضعيف مبتهج لانها ستبقى مع ادوار مدة اطول. . . حقا ان الحب يذل الانسان!

اقنعت ايف اليانور بان ترتاح بعد الظهر في البيت لانها تبدو شاحبة ومريضة. حقا انها مريضة ولكن مرضها في قلبها وليس في جسمها. عادت الى البيت مذعنة لطلب حماتها وقررت ان تغسل شعرها وتجففه بالقرب من نار الموقد في غرفة الجلوس. وبعد ان فعلت وجدت سايكس قد اقترب منها باستكانة ويشعرها بروابط اكيدة تشده اليها. انه يكره مثلها غياب سيده. ويشعر قربها براحة. قرع جرس الباب وسمعت هيو يدخل.

- اهلا هيو. انا مسرورة جدا لرؤيتك. كنت ضجرة ووحيدة. (نظرت الى السيد هيكمان وخاطبته بابتسامة) لطفا هل لنا ببعض الشاي

والحلويات التي تجيد صنعها السيدة هيكمان.

خرج السيد هيكمان ليحضر طلباتها واغلق هيو الباب وخلع معطفه وانضم الى مجلسها فوق السجادة قرب النار. خلع نظارته ومسحها ثم قال:

ـ هل يمكنني الاتكال عليك يا اليانور. هذا يوم بائس. وانت وحيدة؟ اين الجميع؟

ـ من المفروض ان اكون الآن في المحل حيث اعمل ولكن السيدة مانسل امرتني ان اعود للبيت لارتاح. انني متعبة نفسيا بعض الشيء. ادوار سافر الى فرنسا.

ـ انت تشتاقين اليه.

شعرت اليانور ببعض الخجل من تصريحاته. نظرت الى سايكس وهزت رأسها.

ـ كنت اعتقد انني ساجد فانيسا هنا. اتصلت بمحلها ولكن رون مان اخبرني انها في الخارج منذ ساعات.

ـ هذا صحيح. ذهب رون لمساعدتها في محلها لأن عليها ان تطير لحضور احد المزادات.

ـ تطير (عبس جادا وسألها) هل انت متأكدة بانها ستذهب بالطائرة.

ـ نعم. لماذا؟

كانت نظراته مرعبة وقد بان الغضب في عينيه.

قالت:

ـ فهمت منها انها تريد شراء شيء معين من المزاد في اكسفورد شاير ولكن ما الأمر يا هيو؟

ـ الطقس لا يناسب الطيران. والطائرة صغيرة بمحرك واحد... متى ذهبت؟

ـ في الصباح على ما اعتقد. لم يكن الطقس سيئاً. مر بها فيليب نولان الى البيت وتوجها فورا نحو المطار.

نهض هيو مسرعا الى الهاتف واتصل...

ـ ربما قررا الا يذهبا.

ـ ربما.

- واذا اكتشفا ان الطقس سيء... ربما يقرران عدم العودة هذا المساء.

اعاد هيو سماعة الهاتف لمكانها وقال:

- النشرة الجوية تقول ان الرؤية سيئة والرياح قوية والامطار غزيرة.

سمعت اليانور السيد هيكمان بالباب يحمل لهما الشاي. ذهبت اليه واخذت منه الصينية وشكرته. ثم بدأت تصب الشاي لهما. كانت تسمع هيو يستفسر على الهاتف عن طائرة فانيسا. وحين اقفل الخط سألته:

- ماذا اخبروك؟

- علموا انهما وصلا الى اكسفورد شاير وانهيا هناك مهمتهما وغادرا منذ قليل في رحلة العودة بالرغم من رداءة الطقس. كان على فيليب الا يجاريها. ستجازف الفتاة بحياتها من اجل سبب تافه.

- كيف يقود فيليب الطائرة؟

- اتمنى ان يجيد القيادة في يوم كهذا. (مشى الى النافذة ونظر الى الضباب الكثيف في الخارج. الريح تشتد عنفا... رن جرس الهاتف من جديد وركض هيو.)

شعرت اليانور بخوف يجتاحها وهي ترى هيو في هذه الحالة من العصبية.

- المطار! انهم يقومون بالاستعلامات الضرورية فلو كانت الامور تسير سيرها الطبيعي حسب البرنامج لوصلا الى المطار قبل ساعة من الآن.

- وماذا سنفعل؟

- لا يمكننا ان نفعل اي شيء. علينا ان ننتظر.

وبعد عشرين دقيقة من التوتر رن جرس الهاتف من جديد. ركض هيو واليانور ملهوفين. كان هيو يستمع وهو عابس. وقفت اليانور قربه تشد على ذراعه هلعة. وبعد ان انتهت المكالمة امسك هيو بيدها وقال بعصبية:

- لقد وصلا سالمين. اضطر فيليب نولان ان يهبط بالطائرة هبوطا اضطرارياً وقد تحطمت بعض اضلاعه وسيبقى في المستشفى القريب من المطار للمعالجة. لقد سمحوا لفانيسا بالعودة الى لندن شرط أن تخضع للمعالجة الطبية الضرورية. هناك بعض الجروح والخدوش البسيطة وربما كسر في رسغها.

القت اليانور بنفسها بين ذراعيه وبكت.
- ما افظع ما حدث. مسكينة فانيسا. هل ستذهب لزيارتها؟
- نعم.
اعطاها منديله لتسمح به دموعها. اخذته شاكرة ومسحت دموعها واعادته له.
- ساغيب ساعة من الزمن.
- بلغها حبي.
- لقد حصل معي حادث مماثل منذ مدة ولكننا نجونا والحمد لله. الحادث عصيب ويدمر الاعصاب. جهزي لها سريرها لانها تحتاج للراحة. ساعود باسرع ما يمكن.
صعد هيو في سيارته البورش وانطلقت به مسرعة. بقيت اليانور تنتظر عودته على احر من الجمر. حل الظلام واضاءت نورا خفيفا في الغرفة ظنا منها ان ذلك يساعدها في تهدئة اعصابها الثائرة. . . وبعد انتظار طويل عاد هيو بسيارته. خرج مسرعا وفتح باب السيارة لفانيسا. نزلت تحمل يدها المربوطة الى عنقها وهرعت اليانور على الفور لاستقبالها.
- عزيزتي فانيسا انا سعيدة لنجاتك بالسلامة.
ابتسمت لها وهي ترتجف ودخلت لتجلس على اقرب كرسي. ارتعشت اليانور لشحوبها ونظرت الى هيو تستفسره الأمر.
- يوجد كسر في رسغها. عليها زيارة المستشفى غدا صباحا. سأمر بها واصطحبها. (كان هيو يتكلم بقساوة بالغة) ادخليها الى فراشها فورا يا اليانور.
ودعها مسرعا واغلق الباب وراءه وخرج. احتارت اليانور لتصرفاته الغريبة ولكنها لم تعلق بل اسرعت لمساعدة فانيسا المرهقة وهي ترتجف.
- أليس هيو غريبا في تصرفاته (نظرت اليانور تستطلع الامر من فانيسا وسالتها) ما الامر يا عزيزتي؟ هل تشعرين بالالم؟
ضحكت فانيسا ضحكة باهتة وقالت:
- اشعر بألم من نوع آخر. الوجع في قلبي هذه المرة اكثر من جسدي. هل تذكرين يوم قلت لك انني ارغب في اثارة غضب هيو لأرى ردة الفعل عنده. اليوم عرفت طعم غضبه. . .

- اجلسي يا فانيسا. . . عليك ان ترتاحي.
جلست فانيسا وبدأت تضحك وتبكي بشكل هستيري وقالت:
- اليانور. لو سمعت هيو وهو يخاطبني. . . هو غير هيو الذي اعرفه. . .
- كان خائفا عليك. لم يعرف ما الذي حصل لك. جن جنونه قلقا.
- حاولت ان اخرج معه كعادتي ولكنه فقد اعصابه و وتفوه باغرب الامور. . . وبعد ذلك فقدت انا اعصابي. . . (بكت).
- هل يهمك رأيه فيك لهذا الحد؟
مسحت فانيسا دموعها بطرف كمها كفتاة صغيرة وقالت غاضبة.
- نعم. هذا هو المضحك في الامر. انها نكتة الموسم. ربما تعرفين الحقيقة الآن. . . صحيح انني سررت كثيرا لخطوبتك انت وادوار ولكن سروري كان مضاعفا لانني كنت اخاف ان يقع هيو في حبك. . . ولن الومه في ذلك لانك تناسبينه اكثر ما اناسبه انا.
- انا لا احب هيو يا مجنونة. . . وهو لا يحبني ايضا.
- كان محقا في كل ما قاله عني. كان غاضباً حانقا لدرجة. . . خفت منه.
- المفروض الاّ ينهال عليك لوما وانت في هذه الحالة. . . ولكنني اعجب لامره. لقد اخبرني منذ قليل انه مر بالتجربة نفسها من قبل. . . وقد خبر بنفسه مدى خطورة الموقف. . .
- يومها، عرفت حقيقة مشاعري نحوه. كان برفقة شقيقي ادوار في الطائرة. بقيا وسط الضباب ساعتين لا نعرف مكانهما. شغلت كثيرا على ادوار ولكنني فقدت الامل ويئست من هيو. . . (نظرت اليانور الى وجه فانيسا وكله رضوض وخدوش وهي مرهقة شاحبة وتحتاج للراحة قبل الحديث. . .)
- ماذا فعلت بعد ان اكتشفت حقيقة مشاعرك نحوه؟
- حاولت ان اقنع نفسي بأنني على خطأ. بدأت اخرج مع الشبان دون تمييز كعلاج للأمر، ولكنني لم افلح في نسيانه وهذا قصم ظهري وعقد الامور كثيرا بيننا. . . هيو لا يراني سوى فتاة صغيرة غريرة وهو يعرفني معرفة وطيدة. . . وبعد وصولك اظهرت لك العداء، وتصرفت بخشونة

وكنت مشغولة بأموري العاطفية المعقدة. كنت اغار منك لانه يعاملك معاملة الشابة الناضجة... ولكنك كنت صادقة وبريئة ولم اتمكن الا ان احبك كما حصل ايضا مع ادوار... قررت بعد ذلك ان اغير نهجي معه. ركزت تفكيري على فيليب نولان لانه من عمره... فقط لاعرفه بانني اصبحت شابة ناضجة... فيليب مشغول بغيري ولكن فتاته في اميركا حاليا ولذلك يناسبني ولن يعقد الامور بيننا.

- هل لاحظ هيو ذلك؟

- لا اعرف. احيانا عندما اخرج معه على انفراد اشعر انه يعاملني على اساس انني ناضجة... ولكنه قال لي اليوم حرفيا بأنه يعتبرني فتاة مدللة وتحتاج لمن يضربها على قفاها ويرسلها الى غرفتها دون طعام. (وقفت ومشت في الغرفة تضرب الارض حنقا) هناك شيء آخر سيضحك... لقد ذهبت اليوم الى المزاد من اجله وحده. (مدت يدها الى حقيبتها واخرجت علبة صغيرة دفعتها الى اليانور وهي تقول) انها علبة عطوس اشتريتها لاهديها اليه... اذا تم بيننا... تعرفين قصدي...

فتحت اليانور العلبة بتأن. انها من المرمر، متقنة الصنع ومحفور عليها قلب وغطاؤها محلى بالذهب. انها علبة جميلة للغاية.

- حقاً، جميلة جداً.

نزلت دموع فانيسا كالشلال على خديها...

- انتهى كل شيء الآن. لا تهتمي لامري يا اليانور... طفح الكيل... اشعر انني لم اعد احتمل المزيد.

- واضح انك تحبينه... دعيني اساعدك الى سريرك. ستشعرين بتحسن بعد الراحة. هل اعطوك حبوباً مهدئة في المستشفى لما قبل النوم؟

هزت فانيسا رأسها موافقة.

- حسناً. تناوليها فانها تساعدك على الاسترخاء والنوم. (توقفت اليانور عن الكلام وهي ترى سيارة البورش تعود ادراجها الى المدخل وقالت متعجبة) لقد عاد هيو. هذه سيارته. ربما نسي شيئاً...

- ماذا؟ (استدارت فانيسا فزعة) لااريد ان اراه... لا استطيع... ماذا سأفعل؟

امسكت باليانور محتارة لا تدري كيف تهرب. لقد فتح له السيد

هيكمان الباب ودخل مسرعاً الى الغرفة حيث وقفت فانيسا امام الموقد وظهرها للباب. مشت اليانور الى قرب النافذة عاجزة عن الخروج من الباب الذي يسده هيو. لم تعرف ايضا كيف تتصرف. دخل هيو ببطء وتصميم واغلق الباب ومشى الى فانيسا قائلاً:

ـ فانيسا... عزيزتي... آسف... لقد كنت قاسيا معك في اللوم... لا عذر لي... هل تسامحينني؟

ـ لا يهم الآن؟

ـ بلى. يهمني كثيرا ان تسامحيني... هذا يعني لي الكثير... وصلت حتى منتصف الطريق الى بيتي ثم عدت ادراجي بعد ان عدت لصوابي. انا نادم على ما فعلت وما يشفع بي هو ان طرد الغضب يساعد على الراحة النفسية.

قالت فانيسا بحزم وجدية:

ـ ليس هناك ما اسامحك عليه. كل كلمة قلتها هي حقيقة. كل تصرفاتك كانت ايضا على حق...

ـ انت كريمة يا عزيزتي. تذكرت وانا في طريقي انك قلت الي عن ذهابك الى المزاد اللعين من أجلي...

انكرت فانيسا ذلك واضافت بهدوء.

ـ لا. انت على خطأ فيما تقول.

ـ لي ذاكرة قوية ولا تخيب. حتى لو كنت غاضبا فانني اتذكر جيدا قولك.

بلعت فانيسا ريقها بصعوبة وقالت بحزم:

ـ ربما اكون قد اشتريتها في البداية من اجلك ولكنني غيرت رأيي...

ـ فهمت قصدك. انا استحق ما جرى لي. هذا جزاء عادل... ولكن هل استطيع ان اراها.

ـ لا.

بدأت دموعها تتساقط كالشلال على خديها وكادت تسقط ارضا وهي تحاول ان تهرب من الغرفة.

ـ لا تبكي يا حبيبتي فانا لا احتمل دموعك. اشعر بذنبي العظيم. (ناولها منديله فاخذته شاكرة ومسحت دموعها) ارجوك كفي عن البكاء.

ـ انا لا أبكي من اجلك. لا تشعر بالذنب ابداً لان الذنب ذنبي انا. ولو كان ادوار هنا لتصرف مثلك تماماً. انت تعرف انك كنت لي الأخ... (انهمرت دموعها بغزارة اكثر من الاول).

ـ اللعنة. (صرخ هيو وهو يراها تنفر من لمساته) ساعترف لك الآن يا فانيسا بحقيقة... منذ زمن طويل لم اعد اراك كشقيقة لي... (رأى علبة المعطوس على الطاولة قربه حيث تركتها اليانور بعد ان تفرجت عليها... استدار هيو الى فانيسا ثم الى العلبة... رفعها بيده وبدأ يتفحصها بتأن.) انها علبة لخواتم الخطوبة وفي حال ممتازة وتعود الى القرن الثامن عشر على ما اعتقد. حالتها جيدة من المرمر الزهري واطارها الذهبي متقن الصنع. (وضعها مكانها ومشى اليها ونظر الى عينيها وسألها بحنان واضح) هل آخذ هديتي يا اليانور العزيزة؟

هزت فانيسا رأسها بخجل موافقة.

ـ شكرا. لانني اريدها فعلا. (امسك وجهها بين يديه بحنان)

تنحنحت اليانور في مكانها وقالت:

ـ لا تنسيا انني موجودة في الغرفة...

ـ نحن لم ندع لك الفرصة للخروج.

ـ خفت ان اعكر صفو لقائكما وتصافيكما... انتما مجنونان (عانقتهما بحنان) قال هيو:

ـ صحيح!

مسح دموع فانيسا بلطف. قالت اليانور:

ـ سأذهب الآن لاضع بعض الشاي الساخن واترككما...

وحين عادت اليانور الى الغرفة كان هيو قد انصرف وفانيسا تجلس حالمة ساهمة. اخذت فنجان الشاي من يد اليانور شاكرة وقالت:

ـ منذ لحظات كنت يائسة حزينة والآن السعادة تغمرني والحب يملأ كياني.

ـ هذه هي الحياة بآلامها واحلامها. انها الحقيقة... هيا الى سريرك لترتاحي... هذه هي اوامر هيو.

ـ يا الهي. انني ارتجف. ماذا ستقول والدتي... سينعقد لسانها فرحا... ستكون منهمكة بالاعداد لحفلتي زواج بدلا من حفلة واحدة.

اشكرك يا اليانور على مساعدتك. . . انني سعيدة جداً.
ـ عمت مساء يا فانيسا. انا مسرورة لما انتهت اليه علاقتك. . .
نزلت اليانور الى غرفة الجلوس وهي تفكر في نفسها: ان فانيسا على خطأ. ستكون حفلة زفاف واحدة فقط ـ حفلتها مع هيو. . . اما الحفلة الاخرى فمن المحتم انها ستفسخ عما قريب.
ضاعت القطة جام. لم ترها اليانور خلال النهار. فتشت عنها وانتظرت عودتها ولكنها لم تعد. ظنت اليانور امراً هاماً قد حدث لها قد اعاقها عن الحضور لتناول طعامها وحليبها المعتاد. عادت اليانور الى المحل في اليوم التالي على امل ان تجدها بانتظارها كالعادة. فتشت عنها ونادتها ـ ميو ـ ميو ـ في كل مكان دون فائدة. لقد تعلقت اليانور بها كثيرا واصبحت سلوتها ومركز اهتمامها تسبغ عليها حنانها ومحبتها دون حساب.
يوم الجمعة، وكان ادوار قد غاب اربعة ايام ولا معلومات تشير الى موعد عودته. هل سيعود ليرافقها في عطلة الاسبوع عند فيليسيتي؟ بحثت الامر مع فانيسا وهيو واصرّا على ان يصحباها معهما ان لم يحضر ادوار. . . وكانت اليانور تشعر انها لا ترغب في رؤ ية فيليسيتي ليومين متتالين. . . وخاصة بعد ان توصلت الى قرارها الاكيد: ستضع حدا للخطوبة بعد عطلة الاسبوع. . . وستبتعد كليا عن فيليسيتي والى الابد. زارت مساء الجمعة صديقتها مايسي وقبل ا ن تعود الى المنزل قررت ان تزور المحل فجأة. تبعت احساسها الذي طالبها بالتفتيش عن قطتها الضائعة. ربما ستجدها بانتظارها كعادتها في الفسحة امام المحل. ربما هي مسجونة في مكان ما داخل المحل. . . فتحت الباب ودخلت. تذكرت ان التيار يقطع عن المحل من الشقة حيث يسكن ادوار. تكاسلت عن الصعود لتعيد تيار الكهرباء الى المحل وقررت ان باستطاعتها رؤ ية طريقها بواسطة عيدان الثقاب. دخلت المحل ونادت قطتها وفتشت في المطبخ وفتحت ابواب الخزانات علها تجدها بداخل احداها. . . عبثاً. كانت تنصت باهتمام علها تسمع انينها من بعيد. تذكرت انها ربما تكون مسجونة في القبو وراء المحل. مشت الى باب القبو وفتحته ونزلت السلالم وهي ترى طريقها بواسطة عيدان الثقاب. كانت تناديها. . . عندما تعثرت رجلها بشيء غريب ثقيل لم تكن تنتظر وجوده على السلالم وانطفأت الشعلة من نسمة

هواء... واختل توازنها وانكفأت تستلقي على الارض بيديها. ثم تكومت مكانها على الدرجات...

بقيت مكانها تتنفس بصعوبة وتحس بدوخة وثقل في رأسها. ثم زحف الالم الى رأسها... بقيت لا تقوى على جمع شتات حواسها فترة قبل ان ترى النور يلمع في عينيها ويعميها عن الرؤية وتسمع بعد ذلك ادوار يقول بلهفة واستغراب:

- ماذا تفعلين هنا بحق السماء... اليانور؟ على ما تفتشين في العتمة يا امرأة. لماذا تطوفين بالقبو خلسة؟ ما هذا العمل الجنوني؟ هل انت مجروحة؟

ساعدها على الوقوف وهي متراخية كليا...

- يجب ان يؤلمك... هناك كدمة بحجم البيضة فوق جبهتك. (حملها بين ذراعيه).

- استطيع ان امشي (قالت بوهن ظاهر وهي تلقي برأسها على كتفه وتشعر بالدوخة تغلبها).

وبعد قليل احست بتحسن واضح وهي مستلقية على الاريكة. لم تنتبه اليه يتصل هاتفيا بالطبيب. اقبل اليها يضع على جبهتها منشفة صغيرة مبللة بالماء البارد. شعرت بسعادة فائقة وهو يهتم بها وبقيت دون حراك. نزل ادوار بعد ذلك الى المحل ليحكم اغلاقه وحين عاد سألته قائلة:

- لم انتظر عودتك هذا المساء.

- لحسن حظك انني انهيت عملي بسرعة وعدت هذا المساء والا لبقيت على سلالم القبو... دون مساعدة.

- لا. كان بامكاني النهوض... لقد انزلقت عدة درجات فقط... ربما تعثرت بشيء ما.

- نعم. هناك ربطة من السجاد...

- انطفأ العود فجأة...

- ربما حين دخلت من الباب الخارجي... انك تتصرفين كالاطفال يا اليانور... ها قد حضر الطبيب لاسعافك.

- انا لا احتاج الى طبيب...

وحين غادر الطبيب كانت ذراعها مربوطة بعنقها. فحصها فحصا دقيقا

قبل ان يغادر. . . وحين عاد ادوار من وداعه الى الباب قال:
ـ يعتقد الطبيب ان الرسغ التوى، ولكنه يصر على صور اشعة لرأسك ولرسغك غداً صباحا. وقال ان باستطاعتنا ان نستدعيه وقت الحاجة.
ـ لقد طمأنني بأن لا ارتجاج في المخ. . . انت مرهق يا ادوار من السفر. هل كانت رحلتك متعبة.
ـ لماذا تحيدين عن الموضوع. (جلس قبالتها ونظر اليها مستوضحاً) ماذا كنت تفعلين في القبو؟
ـ الم يقل لك الطبيب انني مريضة ولا يمكن استجوابي الآن.
ـ لا. . . هيا تكلمي يا فتاة.
ـ ستغضب مني. . .
ـ انا متأكد من ذلك. ولكن لا تدعي ذلك يمنعك من قول الحقيقة.
ـ اريد فنجانا من الشاي.
ـ بعد ان اسمع حديثك المشوق.
ـ كم انت عنيد. . . حسنا. . . لقد حضرت من اجل القطة جام. . .
اختفت تعابير وجهه كليا. . .
ـ من اجل جام. . . ام من أجل جو؟
ـ من هو جو؟ . . . (تذكرت ابن صديقتها مايسي) لا. من اجل القطة جام.
حك ادوار مؤخرة رأسه بانزعاج وقال:
ـ وما شأنها؟. كنت واثقا بانها ستجلب لنا المتاعب. . . تلك القطة اللعينة.
ـ فقدتها منذ يومين. انزعجت لغيابها واعتقدت انها ربما محبوسة في القبو واردت ان اساعدها.
ـ نعم. هذه انت على حقيقتك. . . هذه طريقتك بالتفكير. . . ولماذا لم تضيئي المكان؟
ـ كان علي ان اصعد لشقتك لافتح النور. . . وظننت ان عيدان الكبريت اسهل. كدت افلح في عملي لولا وجود ربطة السجاد. . . لم ارها آخر مرة نزلت الى القبو. ربما وضعها رون هناك. . .
ـ لا بأس الآن. ربما كانت السقطة اسوأ. . . انت بخير وكان من

الممكن ان تفك رقبتك يا فتاتي العزيزة.
- اعرف ذلك.
- انت فتاة مزعجة جدا.
ضحك ضحكة كبيرة وقال بنزق:
- لا اريدك الان ذليلة مطيعة وخنوعة والا سأضربك... سأجلب لك الشاي. حاولي ان تمشي الى الحمام واغسلي وجهك قليلا...
مشت متثاقلة وبعد ان عادت كان ادوار قد عاد من المطبخ مع الشاي. نظرت اليه مبتسمة برقة وقالت:
- ادوار؟
- نعم.
- الم اقل لك انني جئت افتش عن قطتي... وجدتها في الحمام ومعها ستة من صغارها في الخزانة...
بعد ان سمع ادوار قصتها بدت على وجهه تعابير مضحكة وغريبة وقال:
- كانت حاملا ووضعت أطفالها... ولهذا السبب زاد وزنها اخيرا... الى متى ستحتل الخزانة في حمامي؟
- لا اعرف. (قالت تعتذر بحنان) لا يمكننا اخراجها الآن. انها مرتاحة والمكان دافىء وهي لا تحتل منه الا زاوية صغيرة...
- اتركيها... لا اعرف كيف سيتصرف سايكس. هل فكرت كيف ستأخذين دوشا في الصباح وحولك سبعة ازواج من العيون تحملق فيك بنهم؟
ضحكت اليانور على مزاحه وقالت:
- ادوار. انت خفيف الدم.
ابتسم من كل قلبه وشعرت ان السعادة تكتنفهما. وبعد قليل صمتت سارحة. نظر اليها وسألها:
- ما بك الآن؟ وجهك صفحة واضحة تسهل قراءتها. اشربي الشاي وهو ساخن واخبريني ما الامر؟
- ادوار. هل يمكننا ان نفسخ الخطوبة؟
- الم نقرر فسخها بعد زواج كاتي.

ـ صحيح ولكنني لم اعد احتمل التظاهر. . . وهذا سيريحك مني ومن مشاكلي. انا اعترف لك بالجميل. . . ولكنني جلبت لك العديد من المتاعب. واذا فسخنا الخطوبة الآن فانت في حل من مرافقتي الى يورك. . . ولقد سددت الدين كله.
ـ كما ترغبين ولكن لي شرط واحد. . . اعرف انك تستعجلين الامر حتى لا ارافقك الى يورك. . . لن اذهب معك ولكن ابقي اعلان الفسخ لما بعد زفاف كاتي. لدى أهلك مشاكل عديدة الآن وهذا افضل لهم.
قالت وهي تحرك خاتم الخطوبة في اصبعها بقلق:
ـ هذا يعني المزيد من التكلف والخداع. . .
ـ يمكنك الاحتفاظ بالخاتم. . . كذكرى.
ـ لا.
ـاحفظيه عندك. . . في احد ادراج غرفتك. . . لا يلزمني.
ـ كيف سافسر عدم حضورك الزفاف لأهلي.
ـ مشغول في رحلة عمل غير منتظرة. (نظر اليها نظرة رقيقة وقال) الوقت متأخر والافضل لو تنامين هنا هذه الليلة. يوجد سرير لك، لا تتحركي كثيرا، حسب رغبة الطبيب، عندي فرشاة اسنان في الخزانة وبعض ثياب النوم ـ انها لفانيسا ان كنت تتساءلين؟
ـ هذا الامر من شؤونك الخاصة. سأبقى. شكرا. . . هل علي مرافقتك غدا لقضاء عطلة الاسبوع عند فيليسيتي؟
ـ لنرى كيف ستصبحين في الغد. لا اريد افساد الخطط. . . وان كنت بحالة لا تسمح لنا بالذهاب فسنعتذر. والد فيليسيتي يملك مجموعة بديعة من الرسوم الزيتية كنت أرغب ان اريك اياها. . . والريف المحيط بالمنزل جميل وهادىء. ويمكنك ان ترتاحي هناك ولا تفعلي اي شيء. . .
فهمت اليانور من كلامه انه لن يذهب بدونها. نظرت اليه بمحبة لتخبره بالانباء السعيدة عن هيو وفانيسا. قالت:
ـ لا تعرف بعد ماذا حصل في غيابك. . . (شرحت له باقتضاب خطوبة هيو وفانيسا وكيف كسرت فانيسا رسغها في حادث الطائرة واكملت:) سيصبح هيو عضوا اصيلا في عائلتك. هل كان ذلك مفاجأة لك؟
ـ لم افاجأ بشأن هيو ولكن فوجئت بشأن فانيسا. . . كنت اشك انها

عاقلة بما فيه الكفاية لتختار الاختيار الصحيح لمستقبلها.

ـ تصبح على خير يا ادوار.

قبل ان تنام دخلت الحمام واستمتعت برؤ ية القطة واطفالها الصغار. ربتت على ظهرها بحنان واستمعت الى موائها الهنيء.

بقيت اليانور تفكر في سريرها ساعات قبل ان يداهمها النوم... لديها غدا عذر شرعي لمضيفتها فيليسيتي... لن تتمكن مشاركتهم ركوب الخيل لأن رسغها التوى... وهكذا لن تعرف فيليسيتي انها لا تجيد ركوب الخيل مثلها...

٨ ـ ثمنها يفوق الياقوت واللآلىء. . . عبارة وردة في سفر الامثال، وتقال للعروس المحبوبة التي يفوق مهرها كل مال الارض. الا ان اليانور حملت حقائبها وعادت الى والديها لتحضر عرس اختها. . . وحيدة ولم تكن تنتظر ان تراه في حفلة الزفاف. . .

قالت فانيسا وهي تنظر الى اليانور في اليوم التالي:
ـ يا الهي. هل بدأ يضربك منذ الآن؟
قال ادوار مازحاً:
ـ الافضل ان تنظري لنفسك ويدك معلقة في عنقك. . .
قالت اليانور:
ـ يدي والحمد لله ملتوية فقط وليست مكسورة.
قال ادوار:
ـ يجب عليّ ان اهنئك يا هيو. هل تعرف حقاً ما ينتظرك مع فانيسا.
قال هيو:
ـ نعم. وانا واثق من حسن اختياري.

ـ انت ماكرة وقد اخفيت علاقتك الحقيقية عني ومع ذلك اهنئك على رجاحة عقلك وحسن اختيارك. تعالي لأقبلك قبلة تهنئة.

مشت اليه فانيسا وتقبلت منه قبلة من القلب بينما نظر هيو نظرة دافئة الى اليانور مستفسراً:

ـ ماذا فعلت بنفسك؟

قال ادوار:

ـ وقعت... اختل توازنها فوق سلالم القبو.

اخرج الحقائب من مؤخرة السيارة وطلب من هيو مساعدته في حملها الى البيت. ثم اخبرهم ادوار تفاصيل الليلة الماضية في منزله. وقالت فانيسا بصدق:

ـ الحمدلله انها ليست اليد التي ترسمين بها.

التفت ادوار اليها وسألها بلهفة:

ـ هل ذهبت الى مارك ايف يا اليانور؟ وكيف سارت الامور؟

ـ آسفة. لقد نسيت ان اخبرك. انه فنان اصيل وقد سحرني بمقدرته.

(هز ادوار رأسه بينما بقيت اليانور صامتة بعد ذلك وهي تستمع الى اخبار فانيسا عن زيارتها المرتقبة في الاسبوع المقبل لجدة هيو في ديفون. كانت اليانور تفكر في نفسها قائلة: ما فائدة تعلّم فن الرسم ان كنت ساعود ليورك قريباً. ولكن الفنان مارك حمّسها كثيرا وشجعها. استمعت الى ملاحظاته البناءة وانتقاداته وحكمه على اعمالها... سينزعج لغيابها عن دروس الرسم... لقد اهتم كثيرا بمجموعتها من الزهور البرية وابقى الملف عنده وهو يقول ان لديه معارف ربما يهمهم الامر...

نظر الى الملف الآخر الذي حملته وسألها:

ـ وهذا؟...

ـ اجابته: بعض الرسوم بالفحم. رسمتها بعد حضوري الى لندن... وجلبتها معي لأن ادوار طلب مني ان احضر معي كل اعمالي. انها رديئة نوعا ما وكلها رسمتها على عجل وكردة فعل تلقائية وعفوية...

تصفح الصور بسرعة وامسك بواحدة منها وقال: هذه صورة جيدة. يمكننا ان نطورها في المستقبل بشكل افضل...

قالت اليانور:

ـ انها صورة رسمتها للكلب سايكس. استطعت ان التقط نظرة الترقب والفرح في عينيه وجسمه وهو يرحب بصديقته تقترب منه. من الواضح من حركة الذيل انهما متحابان. . .

عادت اليانور بذاكرتها يوم لقائها بمارك ايف وهي تستمع لأخبار فانيسا. . . سمعتها:

ـ ستكون هذه العطلة مضجرة للغاية. . . علينا ان نحاول الاستمتاع بها قدر الامكان. رغبت في الاعتذار ولكن هيو رفض قائلا: ان ادوار اصر عليه كي يقنعني بالحضور. ها هي فيليسيتي قادمة لترحب بوصولنا.

قالت فيليسيتي تخاطب ادوار:

ـ اعتقدت انك لن تحضر. انشغل بالي كثيرا على تأخرك. (نظرت الى اليانور مبتسمة وقالت) يا الهي لدينا عروستين مجروحتين. . . فانيسا اولا ثم انت. اتمنى ان لا يكون جرحك بليغا او مؤلماً. للأسف انك لن تتمكني من ركوب الخيل برفقتنا.

بدت فيليسيتي حزينة صوريا بينما ابتسمت لها فانيسا ابتسامة ماكرة لانها كانت متأكدة انها جزلة فرحة لانها ستحظى بادوار وحدها. قالت فانيسا تخاطب اليانور:

ـ سبقتك وانتقيت السرير قرب النافذة في الغرفة التي ستتشارك بها سوياً. غرفتنا هي اول غرفة الى يمين السلالم.

قال ادوار:

ـ سأحمل لك حقيبتك.

نظرت فيليسيتي نظرة اعتراض وقالت بحزم:

ـ انزل بسرعة لتتناول كأس شراب منعش بعد وصولك ثم اريك الفرس الصغيرة انها جميلة للغاية.

ـ اوافق على الاقتراحين وارحب بهما.

لحقت اليانور بادوار الى غرفتها حيث وضع حقيبتها قرب سريرها وسألها:

ـ كيف تشعرين الآن؟

ـ ليس كما يجب. هل تعتقد ان فيليسيتي ستنزعج اذا بقيت ارتاح في سريري؟

ـ طبعاً لا. الم اطلب منك ان تفعلي ما تريدين دون الالتفات الى رأي الآخرين؟ سأخبر فانيسا بأنك ترتاحين قليلا لئلا تزعجك في الغرفة. هل تريدين شيئاً؟

هزت اليانور رأسها نفيا وقالت:

ـ تمتع بركوب الخيل.

خلعت حذاءها ونظرت اليه في المرآة وهو يقول:

ـ لن اركب اليوم لان الوقت متأخر. ربما سأذهب غدا صباحا. هل تستطيعين تحريك ربطة عنقك؟

ـ نعم. انا لا احتاجها طوال الوقت... هيا انزل قبل ان تقلق عليك فيليسيتي.

ـ ساراك فيما بعد.

نامت اليانور وقتا كافيا، قبل ان تنهض وتنضم الى مجموعة الضيوف في القاعة. هناك ما يزيد عن العشرة اشخاص مدعوين معهم لتمضية عطلة الاسبوع. سرت اليانور لتجد فانيسا وهيو معها لانها لا تعرف الآخرين... فكرت اليانور في نفسها قائلة: لقد اصر على وجود فانيسا وهيو كي يتسنى له أن يمرح مع فيليسيتي على هواه ويتركني برفقة فانيسا وهيو...

ارادت اليانور ان تشارك في الحديث. نظرت الى مدعو يجلس عن يمينها وبدأته بالكلام. وجدت انه شخص واسع الاطلاع ويعمل في تنسيق برامج التلفزيون. كان مرحا ومهذبا ومسليا حتى انها لم تشعر بالوقت يمر سريعا وكان عليهم ان يستعدوا للذهاب الى نادي المدينة لتناول العشاء هناك. قام الجميع يستعدون ودخلت اليانور وفانيسا الى غرفتها تتعاونا في اللباس. اقفلت فانيسا سحاب الثوب لاليانور وهي تقول مازحة:

ـ ثوبك الاسود يليق بك وتبدين نحيلة فيه.

كان الثوب بسيطا وقبته عالية واكمامه طويلة تلتصق بذراعيها وقد ضاق عند صدره وانفرج واسعاً الى الارض من الورك.

ـ لقد اشتريته بسرعة حين علمت اننا سنمضي العطلة الاسبوعية هنا. انت تعرفين شدة اناقة فيليسيتي...

ـ هل تحاولين منافستها؟ لا تفعلي. انت لست مضطرة لذلك... من

الواضح ان حادث وقوعك في القبو لم يكن سهلا واعرف ان وجودك هنا لا يروقك ولكن اياك ان تتخيلي اشياء لا وجود لها... خاتم الخطوبة في اصبعك وادوار يحبك كما تحبينه. تذكري ذلك دائماً.

هزت اليانور رأسها موافقة وقد تأثرت كثيرا بحنان فانيسا واهتمامها بها.

- اعتقد انني ما زلت متعبة منذ البارحة بل انا مرهقة. وانا لا اجيد الحديث مع اشخاص لا اعرفهم... الحمد لله انك وهيو قربي...

- هذا ليس صحيحاً يا اليانور. لقد كنت تتحدثين بلباقة وكفاءة مع جارك...

- صحيح! انه شخص مثير ويعمل في برامج التلفزيون... هل لاحظت ذلك.

- وكذلك لاحظ ادوار وكان على وشك...

- لا تكوني سخيفة يا فانيسا.

- صدقيني يا عزيزتي اليانور. انا لست سخيفة...

وفي المساء رافق ادوار اليانور الى حلبة الرقص. ضمها بقسوة وتنهدت تاركة نفسها تنقاد اليه حسب متطلبات الموسيقى ربما ستكون هي المرة الاخيرة التي سيضمها اليه.

قال ادوار متمتماً فوق شعرها:

- لماذا انت صامتة؟

رفعت اليه عينيها وابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت:

- لا اشعر برغبة في الكلام.

رفع حاجبيه الكثيفين مستغربا وقال:

- اذن نرقص دون كلام.

مدّ يده الى رأسها برقة متناهية واراحه على كتفه. في ظلام غرفتها بقيت اليانور تفكر وهي متأرقة. قررت ان تتناول حبة منومة اعطاها اياها الطبيب لوقت الحاجة. لا بد من النوم والراحة لتستقبل يوم الاحد بنشاط.

ارتدت روب النوم ومشت على رؤوس اصابعها لئلا تزعج فانيسا في نومها. مشت الى الحمام خارج الغرفة وامسكت بكأس الماء عائدة الى غرفتها واذا بها تسمع صوت ادوار وهو يصعد السلالم مع فيليسيتي كانت

ذراعه حول كتفيها وقد احنى رأسه اليها ليسمع كلماتها الهامسة. شاهدته يتبعها الى غرفة نومها ورأت فيليسيتي تضحك باغراء وهي تقفل باب غرفتها دونهما.

عادت اليانور الى غرفة نومها مغتاظة... وابتلعت حبة المنوم على الفور.

سمعت اليانور رنين الجرس يبشر بموعد الصباح. ربما كانت اليانور تتوقع المستحيل - تتوقع ان يقع ادوار في حبها مع الايام كما وقعت هي في حبه. كانت تعتقد ان الوقت والرفقة ربما يساندانها... اما هو فلم يشجعها ابداً على الوقوع في حبه بل على العكس كان دائما يسخر من الحب ولا يؤمن بوجوده. لقد احبته وهي الملامة... انه شاب وسيم مرح، ساخر، خفيف الظل، يتمتع بنظرات ثاقبة وذكاء مفرط...

مشت اليانور واذا بها ترى ادوار بلباس ركوب الخيل ينتظرها قرب سور الحديقة. قفز قلبها من مكانه حين لمحته. فرحت به واحمرت وجنتاها خجلا... كيف ستنفذ قرارها وتبتعد عنه. كيف يمكنها ان تقطع علاقتها به. لقد الفت وجوده واعتادت اعتناءه بها والاحتماء بقوته... ولكنه امضى ليلته مع امرأة اخرى... لا يمكن ان تضعف الآن فقط لسماع صوته ولرؤيته. ستكون حازمة في معاملته.

- صباح الخير يا اليانور. (امسكها بذراعها) اعتقدت انني سأجدك هنا.

- صباح الخير يا ادوار... هل تعرف فيليسيتي انك هنا؟

- حين ذهبت لم تكوني قد استفقت من نومك بعد. ارادت فانيسا ان توقظك ولكنني منعتها... هل نمت جيداً؟

- كم انت مهذب لتهتم لأمري... نعم نمت جيدا (قالت ساخرة) شكراً. هل نمت انت ايضا نوما هنيئا؟

توقف عن المشي بعد ان احس لهجتها الغريبة وسخريتها. رفع حاجبيه مستغرباً وفهم ادوار من تعابير وجهها واحمرار وجنتيها وعينيها الجارحتين انها غاضبة:

- هل هناك ما يزعجك؟ ما الامر يا اليانور؟

- لا اقبل ان تسخر مني يا ادوار اكثر مما فعلت...

- اوه! وكيف ذلك؟ كيف اسخر منك الآن؟

- كفى تكلفا. جد لنا مخرجا لائقا لننهي علاقتنا على خير.
- انا لا اجيد حل الالغاز منذ صغري.
- لا اتخيلك صغيرا يا ادوار؟ كفاك تغابياً. لقد اتفقنا على ان نبقي امر خطوبتنا الصورية سرا بيننا لا يعرفه احد...
- وهذا ما اريده فعلا.
- حقاً؟ هل تعتقد ان فيليسيتي تسمح لك ان تمضي الليل في غرفتها وهي تعرف انك تحبني وانك خطيبي. أم هل اقنعتها ان لا حاجة للكبرياء وقت المتعة؟
- اظن انها لا تحتاج للاقناع.
حاولت اليانور ان تكف عن ايذائه بكلماتها اللاذعة عبثاً لأن الغيرة كانت اعمتها والغضب تملكها. وقف ادوار هادئاً يفكر وهو ينظر اليها نظرة تنم عن عدم الموافقة على ما تقول والاستغراب سألها:
- هل لي ان اعرف كيف اكتشفت هذه الحقيقة؟
- رأيتك بنفسي تدخل غرفتها.
- فهمت الآن. هل جاءك الوحي يا اليانور؟ وهل من المعقول ان تكون هناك صدفة ام انك كنت تقومين بتمثيل دور المرأة الغيور وتتجسسين علي؟
- لم استطع النوم. اردت بعض الماء لاتناول حبة المنوم، وكنت في الحمام حين مررتما. شعرت ان لا لزوم لاظهار نفسي لان رؤيتي لن تسرك.
راح يمشي ببطء. لم يشعر باي ارتباك ولا رغب في الاعتذار. لماذا؟ هي تعرف انه ليس ملاكاً ولكنها وثقت به. وثقت بانه لن يجرح شعورها وكبرياءها وخاصة مع فيليسيتي.
اوقفها ادوار عن المشي مرة ثانية وامسك بها وادارها لتنظر اليه. كانت تعابير وجهه ساخرة جدا حين قال:
- لا استطيع ان انكر. لقد حكمت علي حكما غيابيا: لقد امضيت ليلتي مع فيليسيتي بعد ان اعلمتها ان الخطوبة بيننا صورية... اي انني حنثت بوعدي لك. او انني امضيت ليلتي معها بالرغم من الخطوبة وذلك دليل على خساسة اخلاقي. انت حتماً لا يهمك امري. لقد رسمتني بصورة شيطان مارد (امسك بيدها ووضعها على شعره وقال) هل تشعرين بقرني

الشيطان؟ (ثم سألها ساخراً متهكماً) اتساءل اي التفسيرين اغضبك؟
- وهل يهمك الامر؟
- نعم. هناك فارق كبير بين الاثنين. حسب رأيك بي - انني شيطان. وربما اعترافك بجميل صنعي جعلك ترين فراغا مكان القرنين... (توقف ونظر اليها مزدرياً) ام انك كنت تتمنين ان امضي الليل معك انت...

استدارت فجأة اليه ورفعت يدها وصفعته صفعة مدوية... سمعت دويها في اذنيها عالياً. بقيا صامتين كتمثالين. وجه اليانور مكفهر وملون، ووجه ادوار واضح، خال من التعابير. تناول يدها بسرعة ووضعها تحت ابطه وسار بها الى الامام بقوة.

- سنكمل مسيرتنا ببطء كما يفعل العشاق. لقد حضرت فانيسا ومعها هيو. انهما في طريقهم الينا. لا اعتقد انهم شاهدوا تمثيليتنا الحزينة... لقد خف اندفاع غضبك وحنقك كما خف ارتجافك. الحمدلله. كنت اخاف ان تسقطي مغمياً عليك...

لو كان الانسان يحب ويكره في الوقت نفسه؟... هذا هو شعورها الآن نحو ادوار. بلعت ريقها بصعوبة ورفعت رأسها ونظرت الى عينيه... لقد غاب غضبه كليا ولا يمكن لاي انسان ان يعتقد انه منذ اقل من دقيقتين كان يفور ويغلي بالغضب...

- اعتقد اذا سحبت ذراعي تستطيعين ان تقفي وحدك على رجليك دون خوف من السقوط ولكنني لن افعل ذلك لأن المحبين يفضلون الاقتراب من بعضهم البعض. نستطيع ان نتحدث مع فانيسا...

قال:
- اهلا بكما...
قالت فانيسا:
- انت هنا يا ادوار. فيليسيتي تبحث عنك في كل مكان. كان في اعتقادها انك سترافقها لركوب الخيل ولكنها غضبت حين لم تعد ترى لك اي اثر. لقد اختفيت.

نظرت اليانور الى ادوار مصعوقة مما تسمع ولكنه قال برباطة جأش:
- غيرت رأيي.

قالت فانيسا:
- لو كنت مكانك يا اليانور لراقبت تصرفات مضيفتي جيدا. انها لا تخسر بسهولة.
قال ادوار:
- هذا صحيح ولكن اليانور تثق بي ثقة عمياء. (نظر اليانور) اليس كذلك يا حبيبتي.
كانت عيناه الزرقاوان تضحكان بسخرية وهي تحدق بعينيها العسليتين. ثم قال لفانيسا: لو كنت مكان هيو لضربتك كل صباح.
قال هيو مازحاً:
- انا افعل ذلك يومياً.
- حسنا يا رجل... في كل حال سنهرب بعد الغذاء مباشرة. اليانور ليست على ما يرام... امضينا عطلة اسبوع مليئة بالاصدقاء واكثر مما نحمل...
قال هيو:
- افهم شعورك تماما. سنسمح لكما بالذهاب قبلنا ولكننا ستتبعكما بسرعة. (نظر الى اليانور) اتمنى ان تتحسن صحتك قريباً.
وبعد ان مشى كل واحد في طريقه قال ادوار يخاطب اليانور:
- كل شيء سيسير على ما يرام. رتبي حقيبتك بسرعة...
- ادوار انا...
- سنترك بعد الغداء. سمعتهم يعلنون ان الغداء مكون من اللحم المشوي والحلويات اللذيذة... لن اضيع هذه الفرصة من الطعام اللذيذ هنا.
- لا امل في التفاهم معك.
- نعم. اوافقك الرأي.
- ادوار انا آسفة لانني صفعتك على وجهك.
- صحيح؟ ولكنني استحق الصفعة.
- ثم بشأن الخطوبة...
- لن نبحث اي شيء هنا فالمكان غير ملائم.
- ولكنك ستسافر غدا وانا سأذهب الى يورك يوم الجمعة.

- ليكن. سنبحث الامر في يوم اخر.
هزت رأسها موافقة ودخلت المنزل.
كان وداع اليانور للسيد والسيدة مانسل اصعب بكثير مما تخيلت. كانا لطيفين معها وهما يعتقدان ان سفرها لن يطول بل ستعود اليهما في القريب العاجل مع حفلة زفاف شقيقتها كاتي. كان يائسة كئيبة وهي تشعر بأنها تخدعهما. ذهب هيو وفانيسا برفقتها الى محطة القطار:
قالت فانيسا:
- لسوء حظ ادوار انه ليس هنا لوداعك.
قالت اليانور:
- يجب ان اعتاد على بعده.
قال هيو:
- لقد ترك لك هدية قرب فانيسا في المقعد الخلفي.
نظرت اليانور لترى قفصا صغيرا لقطتها. قالت:
- ارسل لي القطة جام.
قالت فانيسا:
- مع اطفالها. قال ادوار انك ستشتاقين لها... انك تجبرين ادوار على التصرف بانسانية.
قال هيو:
- كفاك عدم احترام لشقيقك يا فانيسا.
قالت فانيسا مازحة:
- امرك يا سيدي.
- ودعتهم اليانور في المحطة بعد ان ساعدها هيو بنقل حقائبها الى القطار. نظرت اليهما وهي تفكر حزينة. هل ستراهما مرة ثانية؟
كان والدها في استقبالها في يورك. بكت بين ذراعيه وهي تدفن وجهها بطيات سترته الخشنة.
- حين رأيتك لم اعرفك وانت بهذا الطقم الجديد وتبدين فاتنة انيقة... والآن اعرف انك ابنتي اليانور بعد ان بدأت دموعك تظهر...
ناولها منديله لتمسح دموعها. ضحكت اليانور وسط دموعها وهي تسمعه وقالت:

- اهلا يا والدي. انا سعيدة بعودتي. كم انا غبية...
- ما هذا القفص... قطة اخرى.. لقد عدت محملة بحقائب اكثر من الاول.
ابتسمت اليانور بحنان وحملت بعضا من حقائبها ووضعتها في السيارة القديمة وجلست قرب والدها وهو يقول لها مطمئناً:
- الجميع بانتظارك في البيت.
- كيف حالهم. كيف حال الكلبة لاسي؟
- تركتها في البيت تنتظر وصولك. كيف آل مانسل حين غادرت؟
- يرسلون تمنياتهم القلبية للجميع. ادوار لن يتمكن من حضور حفلة الزفاف.
- من المؤسف. يمكنك ان تعرفيه الى الجميع في مناسبة اخرى... متى ستعودين؟
- لم اقرر بعد. ربما بعد اسبوع او اسبوعين.
- حسناً. والدتك سترعاك قليلاً لتعيد الى خديك لونهما الوردي. تحتاجين لهواء الريف النقي.
- ولكنني بصحة جيدة...
بدأت تسرد عليه بعض حوادث الأسبوعين الماضيين.
وجودها في البيت وسط اهلها يناسبها كثيراً ولكن حين كانت تنفرد بنفسها وتتذكر همومها... وتتذكر ادوار كانت تشقى اكثر بكثير مما توقعت.
والدتها كونستانس مشغولة جداً بالتحضير لحفلة الزفاف القريبة جداً. والجميع في حالة تأهب للمناسبة السعيدة. جلست اليانور تساعد والدتها في خياطة ثوب دوروثي لحفلة الزفاف. قالت دوروثي:
- لماذا لن يحضر ادوار حفلة الزفاف؟
- لديه رحلة عمل مفاجئة.
- من المضحك انك لم تحبينه في بداية تعرفك به. (هزت اليانور رأسها موافقة) اتمنى لو يحضر. كنت اريد رؤيته... احبه اكثر من غاي الذي يشبه كاتي كثيراً ويناسبها. كلاهما لا يتمتعان بخفة الروح.
- لا تقولي اشياء كهذه يا دوروثي!

ـ ولكنها الحقيقة. ادوار شاب مرح خفيف الظل. انه يضحك دون ان تلاحظيه. وجهه صارم وقاس ولكن عيناه تفضحانه. . . عندما تتزوجان ارجو ان ادعى لزيارتك يا اليانور. . . وان التحقت بجامعة سانت توماس سأعيش عندكما. هل هناك مانع؟

ـ وهل قررت عدم متابعة دراسة الموسيقى؟

ـ لقد تحدثت طويلاً مع ادوار بعد ان نجحت في الامتحان. . .

ـ تحدثت مع ادوار. . . متى؟

ـ منذ فترة بعيدة. هل يغضبك ان اعمل برأيه؟

ـ لا. ابداً. ولكنه لم يذكر لي شيئاً بهذا الأمر. . .

ـ لقد قررت دخول كلية الطب. وكما ترين ساستفيد من سكنك في لندن.

كان يوماً مشمساً، يوم عرس كاتي. يوم مشمس، كما تقول الاغنية، من شهر نيسان. تكلم والدها في حفلة زفاف ابنته. نظرت الى غاي وهو واقف بالقرب من كاتي واحست كأنها احبته منذ ملايين السنين. تمنت لهما السعادة من كل قلبها ودون تحفظ. قالت دوروثي:

ـ لقد حضرت الضيعة بأكملها حفلة الزفاف. وقد حضر ايضاً. . .

اشارت بعينيها الى ادوار يقف بين صفوف المدعوين. قفز قلب اليانور حين وقع نظرها عليه. . . ماذا يفعل هنا؟ ابقت نظرها امامها وهي تمشي في الممر بين صفوف المدعوين. حين اقتربت منه رمته بنظرة متسائلة. . . احست ان الجميع يقولون: هذا هو خطيب اليانور. . . لقد حضر.

اخذت الصور التذكارية مع العروسين وكانت عيناها كل الوقت تراقبان ادوار في مكانه البعيد. يبدو اكثر وسامة واناقة من المعتاد. . . ولكن لماذا حضر؟ كان يبتسم للجميع ويتعرف على غالبية المدعوين حوله. . . لماذا حضر؟ ليزيد الأمور تعقيداً. . . ولكن لماذا هي غاضبة؟ هل حقاً ما تشعر به يعود لشدة غضبها؟ وبعد ان انتهت مراسم الزواج مشت الى حيث وقف ادوار. اقترب منها قليلاً وعانقها بلطف وقال:

ـ اهلاً اليانور يا حبيبتي. لقد وصلت اخيراً قبل حفلة الزفاف (نظر اليها وقد قرأ نظرة الاستغراب في عينيها وقال مؤنباً) حولنا رهط من المدعوين يراقبوننا. . .

ابتسمت له بتكلف:
ـ ماذا تفعل هنا يا ادوار؟
ـ من اجل حفلة الزفاف. (قال ساخراً).
ـ لقد هدمت كل اتفاق بيننا. انت حتماً لا تعرف حياة القرى واهلها... والآن وبعد ان برزت الى الوجود فالجميع سيعتقدون اننا سنتزوج عما قريب.
ـ من الأفضل ان لا اخيب امل اهل القرية... ابتسمي لهم ابتسامتك الطيبة.
ـ ربما انت تخدعهم بكتفيك العريضتين وثيابك الفاخرة... ولكنك لن تخدعني...
ـ اعرف ذلك.
ـ ادوار مانسل... انا لا افهمك ابداً.
كان عليها ان تعود لقرب شقيقتها العروس. كان يحدق فيها بعينيه الزرقاوين. وبعد انتهاء الحفلة حاولت ان تتحدث معه وسط جموع المدعوين لحفلة الاستقبال دون جدوى. التقت الآنسة هوكنز المسؤولة عن مكتبة القرية العامة. وقالت تخاطبها:
ـ خطيبك شاب صغير، شديد التهذيب. لقد تذكر اسمي على الفور...
ـ ماذا تقصدين يا آنسة هوكنز؟ هل قابلت ادوار من قبل؟
ـ نعم. منذ اسابيع قليلة عندما كنت ازور والديك في المنزل...
هرعت اليانور لوالدتها وسألتها بلهفة:
ـ اماه! اخبرتني السيدة هوكنز ان ادوار زاركم وحده في يورك. متى؟
ـ عرفت بالأمر. لقد كان مهتماً كثيراً بنا ورغب في التعرف الينا. انه شاب خلوق وفهم شعورنا الصحيح. قال ان من واجبه ان يعرفنا بنفسه بعد ان قرر ان يتزوج من ابنتنا... بقي يوماً كاملاً برفقتنا وتحدث طويلاً مع والدك ولكنه لم ينم عندنا. احببناه كثيراً انا ووالدك.
ـ متى حضر؟
ـ منذ خمسة اسابيع. ارادها مفاجأة ورغب ان تبقى سراً بيننا... هل رأيت دوروثي؟ لقد اختفت. اتمنى ان تبقى بعيدة عن المشاكل. انت

تعرفينها.
- سأراقبها كل الوقت.
اذن حضر منذ خمسة اسابيع... لقد اصبح كل شيء لا معنى له...
التقت والدها الذي قادها الى زاوية وقال لها:
- اليانور. كنت ابحث عنك.
- وانا ابحث عن ادوار... هل تعرف اين هو يا والدي؟ اريد ان اتحدث معه.
- انه في المنزل ينتظرك ويريد ان يتحدث اليك.
- حسناً. سأذهب على الفور. (قبلت والدها وركضت خارجة الى الحديقة المؤدية الى المنزل).
حملت ثوبها الطويل وركضت مسرعة عبر الحديقة المؤدية الى المنزل. كانت لا تزال تحمل بيدها باقة الورود لأنها اشبينة العروس.
المنزل صامت هادىء... وباب المكتب مفتوح. ترك ادوار النافذة حين سمع خطواتها ووقف يستقبلها بالباب وهو يشعر ببعض الارتباك. النافذة تشرف على الممر الذي سلكته اليانور وتمنت لو انها لم تركض... ارتبكت لأن فعلها يظهر حماسها للقائه...
هما منفردان. ابتسم لها ادوار واغلق الباب دونها.
- والد... ي... قال انك تريد رؤيتي...
- علينا ان نبحث امورنا. آسف لابعادك عن حفلة الاستقبال ولكنني سأغادر خلال ساعتين. اشكر لك حضورك.
- لماذا لا.
آخر مرة رأته في لندن لم ينظر الى وجهها. ودعها وداعاً فاتراً. اما الآن فعيناه لم تفارقاها لحظة واحدة.
- ادوار. لماذا عدت؟
كان يقف بعيداً قليلاً عنها.
- لسبب او لسببين؟
مد يده وامسك بيدها... تلامس ايديهما جعلها ترتجف بين يديه كأن تياراً كهربائياً قد مسها. احمر وجهها ورفعت نظرها اليه يائسة وقالت:
- هذا ليس عدلاً.

ـ اعرف ذلك. هذه هي الحياة. ارٰيد ان امسك بيدك حتى لا تصفعيني مرة ثانية. . . اشعر انني بأمان اكثر.

اقترب منها أكثر وهو مبتهج مسرور. كانت سعيدة وهي تنظر الى عينيه وتشعر بدفء يديه. . . وبعد قليل عاد عقلها الى دورانه.

ـ قل لي ما هي الاسباب؟

ـ جئت لاشكرك على صورة الكلب سايكس.

ـ كان بامكانك ان ترسل لي رسالة شكر بهذا الخصوص.

ـ انا لا اجيد كتابة الرسائل. . . ثم فكرت ايضاً ان قطتك ربما اشتاقت الي.

ـ انت غير معقول. تحاول اثارة غضبي والازدراء بي.

ـ اعرف. . . وكنت اتمنى ان تكوني انت ايضاً قد اشتقت الي.

ارتجفت بين يديه. ران صمت عميق. بلعت اليانور ريقها بصعوبة وتمتمت:

ـ انت تعرف حق المعرفة انني اشتقت اليك.

تنهد وقال:

ـ كنت اتمنى ذلك يا حبيبتي الكريمة. (امسك بيدها ووضعها على خده) لا اريد ان استغل محبتك استغلالاً لا يليق، بل اريد ان ابحث الأمر معك واشرح خفايا الأمور. سأخبرك اولاً عن فيليسيتي:

ـ لا حاجة بك لذلك.

ـ بل هو واجب. لقد رتبت الجمل والكلمات التي سأقولها لك طوال طريقي الى هنا. . . دعتني فيليسيتي لغرفة نومها في تلك الليلة المشؤومة لاعطيها رأيي كخبير في ساعة فرنسية اثرية اشترتها من احد المزادات . . . وقد فعلت ذلك وتركت غرفتها بعد عشر دقائق فقط.

شرحه يشبه القضاء والقدر. . . عليك ان تؤمن به وتصدقه مهما كان.

ـ الم تستطع ان تغريك بالبقاء.

ـ لا.

نظر اليها صادقاً واحست الحرارة في داخلها.

ـ آسفة يا ادوار. . . لانني. . . صفعتك. . . انني خجلة. . . من نفسي. . .

ـ لا عليك. اول مرة في حياتي يهمني رأي الناس في تصرفاتي. . . على فكرة مررت منذ ايام بمارك ايف واهداني صورة سايكس. انها باهرة جداً.

ـ صحيح. هل اعجبكِ رسمي.

ـ لقد اكتشفت انك عدت تريني بدون قرون الشيطان وهذا ما ساعد على رفع معنوياتي. . .

ـ منذ فترة طويلة لم اعد اراك كالشيطان.

ـ وهل فكرت فيّ يا اليانور وانت بعيدة عني.

ـ حتماً انت تعرف الجواب الصحيح على سؤالك.

ـ البارحة اتصل والدك بي هاتفياً وقال انه على الحضور لاعيد الحياة الى وجهك. هل تسمحين لي بلمسك. . . انت الآن تفهمين حبي الكبير لك. (امسك بيديها من جديد وهو يغازلها واكمل) ان كبرياء آل مانسل لن تسمح لك بالخروج من حياتي. لقد وضعت خاتمي في اصبعك وسيبقى حيث هو الى الابد. مر الاسبوعان الماضيان وانت بعيدة كحلم مزعج لا نهاية له. . . هل تتزوجينني يا حبيبتي. . . هل ترحمين عازباً لا يعرف ما حصل له؟

ـ سأتزوجك من اجل مالك. . .

جذبها اليه وضمها بين ذراعيه وقال:

ـ يا فتاتي الطيبة.

سمع قرعا على النافذة. كانت دوروثي تحمل له علبة صغيرة بحجم علبة الحذاء. فتح لها النافذة وتناول العلبة. نظرت اليانور الى ثوب دوروثي الملطخ بالأوحال وصرخت مؤنبة:

ـ اين كنت؟ اذهبي على الفور وبدلي ثيابك قبل ان تراك كاتي فتصاب بنوبة هيسترية.

ـ ولكنني فعلت ذلك من اجلكما. . .

ـ هيا. ادخلي وغيري ثيابك الوسخة. . .

ـ ادوار. انا لم اخبرها عن زيارتك لنا في يورك. (اغلق ادوار بسرعة النافذة)

ـ لماذا حضرت الى هنا منذ اسابيع قليلة؟

ـ تلبية لاحساس غريب وشعور مبهم.

ـ انا لا اصدق انك تفعل اي شيء من هذا القبيل؟

ـ اليانور. . . من هو جو؟

ـ جو؟ . . . اوه. انه ابن مايسي الصغير. انه في الرابعة من عمره.

ـ انت عفريتة صغيرة. (جذبها اليه من جديد) انت دائماً على حق. انا لا افعل اي شيء مندفعاً دون هدف. فكرت جدياً ولوقت طويل وكان علي ان اعرف. . . اشياء . . . كثيرة.

ـ واليوم حضرت الزفاف من اجل المصالحة بيننا. لقد جذبت جميع سيدات القرية ولفت نظر الجميع وانا احدق فيك بنظراتي النهمة (ضحك كثيراً) لو رأيت صورة وجهك حين وقع نظرك علي. . .

ـ انا اعرف ان وجهي يفضح حقيقة مشاعري (قالت متلعثمة) انت تعرف انني احبك كثيراً واحب كل شيء فيك.

ـ حتى حاجباي؟

ـ حتى هذان الحاجبان الكثيفان. يوم ضحكت لي ضحكة اصيلة وقعت في غرامك.

ـ هراء. انت تكرهينني بقوة وقد اخبرتني ذلك بنفسك اكثر من مرة.

ـ اعرف انك تعتبرني بريئة وبسيطة ولكنني اكتشفت منذ اول لقاء بيننا ان هناك شعلة من الاحاسيس تربطنا ووجدت ان من الاسهل علي لو عاديتك وابتعدت عن طريقك. . . وابتعدت عن المشاكل.

تراجع الى الوراء وضحك ضحكة رنانة. . .

ـ للابتعاد عن المشاكل. . . انت يا عزيزتي طاقة هائلة من المشاكل. . . منذ رأيتك لأول مرة (هز رأسه يائساً ساخراً) كنت تخرجين اسوأ ما في داخلي وكنت اخاف على نفسي. . . يوم عرفت والدتي بقدومك لمست الفرحة في عينيها وشعرت ان علي ان اعاديك قبل ان اعرفك او ان اراك اتقاء وتفادياً لما تنتظره والدتي من قدومك. وبعد ان وصلت اثرت اهتمامي تدريجياً وزحفت ببطء الى داخل حياتي واشعت الدفء في جوارحي وكنت تقفين حائلاً بيني وبين كل ما افعل. لم اعد كما كنت. . . كل ثقتي بنفسي تبخرت. كل ايماني بالا ادع امرأة تمتلكني ضاع. . . ثم انت فتاة تحمل مشاكل الآخرين على كتفيها بالاضافة الى مشاكلها. . . لم اقبل الوضع بسهولة. حاولت ان احارب. . . احارب حبي لك.

ـ كنت رهيباً معي.
ـ ساعوض لك عن ذلك في المستقبل... لقد اخبرت والدك بأمر الخطوبة... اخبرته كل شيء في زيارتي الأولى.
ـ اخبرته... (اختنقت كلماتها)؟
ـ اخبرته كل شيء. والذي لم اخبره اياه عرفه بنفسه ولهذا اتصل بي هاتفياً البارحة.
تنهدت اليانور وسحبت نفس عميقاً وقالت:
ـ يا الهي. كان يعرف كل شيء... ووالدتي؟
ـ لم نجد ضرورة لاخبارها. قررنا ان نخفي الأمر عنها. لم اخبره بحبي لك ولكنه رجل ماكر عرف ان ابنته اليانور تعرف كيف تتصيد القلوب. (شد عليها بذراعيه) يا الهي عندما رأيتك متكومة على السلالم في القبو توقف كل شيء حولي واحسست ان حياتي انتهت. وحين تحركت احسست براحة كبرى لا توصف... عرفت ان ما يربطني بك هو حب اكيد وثيق. كم كنت غبياً يومئذ وبدلاً من ان اعترف لك بحبي... حملتك الى فيليسيتي لاجرب طعم الغيرة معك... وربما لم اكن واثقاً من حبك لي... (ضحك ضحكة وقحة) وبدلاً من ان اقدم لك حبي تلقيت صفعة على وجهي... وكدت افقد صوابي.
ـ يا حبيبي المسكين (شرعت تداعب خده مكان الصفعة) كنت اشعر بغيرة قاتلة... ربما كان هذا هدفك الاساسي من اصرارك على الذهاب لتمضية عطلة الاسبوع عند فيليسيتي.
ـ انكر ذلك كلياً. (وضع خده على شعرها الناعم وهو يشم رائحة عطرها) كنت آمل ان ارى نهاية التمثيلية المزيفة هناك... كنت اريد حريتي من جديد... عرفانك بالجميل لي هو الذي لخبط جميع خططي.
ـ العرفان بالجميل... هه. ربما انت تعطي هذه الكلمة اهمية اكثر بكثير مما تنطوي عليه. صحيح انك تصرفت تصرفاً كريماً معي خاصة ومع عائلتي... انا اعترف لك بهذا الجميل... ولكنني لم افعل اي شيء يخالف رغباتي الاصيلة.
شعرت اليانور بحمرة الخجل تزحف الى وجنتيها وهي تصرح له باعترافاتها الصريحة وتذكرت وضعها بين ذراعيه فوق ارض المكتب...

- من الافضل لي ان اجهل الحقيقة . . . انت فتاة جميلة يا حبيبتي . انت دافئة وحنونة ومخلصة وصادقة وقد استطعت ان تخترقي عقلي في تلك الليلة كالصاروخ. لقد استحوذت على عقلي وقلبي وتجاوبك لعواطفي اذكى شعلة حبي : (ابتسم مواربا) مما جعلني اهرب لباريس في محاولة لترتيب عواطفي وافكاري . (حدق في وجهها وسألها) الى متى سأنتظرك يا اليانور؟

- هناك ترتيبات عديدة قبل اعلان موعد الزواج.

- سانتظرك اسبوعاً واحداً. إنت كتلة متفجرات يا فتاتي الحبيبة وعلي ان اتعامل معك بجرعات صغيرة.

- لا يكفي اسبوع واحد.

- ثلاثة اسابيع اذن.

- ادوار. . . احبك كثيراً.

- لا اعرف لماذا؟ ولكنني سعيد جداً لسماعي تصريحاتك.

- سنكون سعيدين معاً. (دفنت رأسها في صدره) انني خائفة بعض الشيء. هل انت متأكد من عواطفك نحوي.

- متأكد جداً. . . كفاك تغابياً. لن يكون الأمر سهلاً علينا ولكننا سنتعاون لجعل حياتنا سعيدة هنيئة وانت ادرى بكفاءتي.

- ادوار العلبة تتحرك! . . . ماذا بداخلها؟

- يا الهي نسيت كل شيء. (ازاحها من بين ذراعيه وقال) شغل عقلي إشياء اهم.

- ولكنك تذكرت الآن. اخبرني ماذا بداخلها. لقد اثرت فضولي.

- اصبري قليلاً. (جذبها من جديد الى ذراعيه وبدأ يقص عليها قصته) في قديم الزمان كانت تعيش اميرة جميلة واسمها اليانور. . .

- جميلة؟

- جميلة. (قال باصرار) لا تقاطعيني في كلامي يا اميرتي. كانت الأميرة لطيفة دافئة القلب وحنونة وتتحلى بجمال الروح والشكل. احبت يوماً ضفدعاً ضخماً. تحايل عليها حتى جعلها تقبله . . . وفجأة تحول الضفدع الى امير شاب وسيم، طويل القامة عريض المنكبين وقبل يدها هكذا (اتبع قوله بالفعل وامسك بيدها ورفعها الى فمه وقبلها قبلة رقيقة).

- قصتك جميلة.

ـ وبالطبع . . . وقع الأمير في حب الاميرة وتزوجها وعاشا حياة سعيدة وهنيئة.

بقيت اليانور سعيدة بين ذراعيه القويتين . . . انها تعيش حلماً جميلاً. فتحت العلبة الصغيرة ورأت الضفدع يقبع فوق بعض اوراق الشجر الخضراء.

ـ يا الهي. كم هو جميل.

قفز الضفدع من داخل العلبة طلباً للحرية. ولدقائق بقي يركض قافزاً هنا وهناك واليانور تحاول امساكه لترجعه الى علبته وهي تضحك بهستيريا ودموعها تجري على خديها من شدة التأثر. كان ادوار يساعدها في الامساك به وهو يلعن ويسب ويأمر ويتوعد. . . واخيراً امسكاه واعاداه الى علبته واحكما اغلاق الغطاء. تنفس ادوار مرتاحاً وقال:

ـ كم انت فاتنة وانوثتك طاغية. . . على فكرة اسمه ادوار.

ـ طبعاً. ولكن لا ينفع ان اقبله لانني لست اميرة. . . وكذلك انا مخطوبة لغيره.

ـ مسكين هذا الضفدع سيبقى على حاله الى الابد. لن يصبح اميراً.

ـ ربما لديه زوجة واطفال بانتظار عودته. على دوروثي ان تعيده الى مسكنه.

ـ هذه هي حبيبتي اليانور بطبعها وطيبة قلبها.

دخلت دوروثي الغرفة تتبعها لاسي وقالت:

ـ هيا. حان وقت وداع العروسين. اريد ان اركب سيارتك الفاخرة ليراني اصدقائي وصديقاتي.

ـ حسناً. ولكن عليك اعادة الضفدع الى مسكنه اولاً . . . الى حيث وجدته.

حملت دوروثي العلبة وهي تتمتم:

ـ لن اقع في الحب ابداً . . . انه يجعل الناس حمقى ومعتوهين وسخفاء.

قال ادوار:

ـ هي الحقيقة. . . . اشعر الآن انني مجنون بحبك يا اليانور.

جلبة في الحديقة والجميع في وداع العروسين. نظرت اليانور من النافذة

ورأت دوروثي تقف في المدخل.
قالت اليانور:
ـ لقد خذلنا دوروثي... لم نتمكن من اصطحابها بالسيارة.
ـ صحيح. ولكن لدينا وقت طويل وسنعوض لها وننفذ لها كل رغباتها.
رفع ادوار حاجبيه وقال:
ـ لدينا الوقت الكافي.
مشت اليانور مع ادوار الى الحديقة لوداع العروسين في ذلك اليوم الجميل من ايام الربيع. وفي قلبيهما ربيع آخر يوازي ربيع الأرض...

# روائع الأدب الرومانسي

- زوجة الهندى
- السر الدفين
- طال انتظاري
- الوجه الآخر للذئب
- برج الرياح
- الماضي لايعود
- لقاء الغرباء
- وردة قنايين
- عصفور فى اليد
- الغيمة أصلها ماء
- الهوى يقرع مرة
- خيط الرماد
- الصقر واليمامة
- حتى تموت الشفاه
- أصابع القمر
- وعاد فى المساء
- القرار الصعب
- الفريسة
- أريد سجنك
- خطوات نحو اللهب
- دمية وراء القضبان

- عذراء فى المدينة
- الامواج تحترق
- العروس الاسيرة
- رجل بلا قلب
- سيدة القصر الجنوبى
- شهر عسل مر
- عيناك بصري
- من أجل حفنة جنيهات
- رجل من نار
- نداء الندم
- ليالي الفجر
- ما أقصر الوقت
- قلب فى المحيط
- المجهول الجميل
- الزواج الابيض
- أقدام فى الوحل
- قال الزهر آه
- كيف أحيا معك
- غضب العاشق
- مزرعة الدموع
- الواحة

- آخر الأحلام
- هل تخطىء الانامل
- البحر الى الأبد
- الحصار الفضي
- الشبيه
- الكذبة
- الندم
- انت لي
- جراح باردة
- طائر بلا جناح
- عاطفة من ورق
- قطار فى الضباب
- قل كلمة واحدة
- مندلا
- تعالى
- السعادة فى قفص
- هاربة
- هذيان
- أرياف العذاب
- اللهب والفراشة
- لا ترحلي

# روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البرارى
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولى.لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال فى الأصابع
الشريدة
شاطىء العناق
ذهبى الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
فى قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعا وطاعة
أيام معها
صحراء الثلج
الأغنية المتوحشة
بانتظار الكلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص.
هديتي

# روائع الأدب الرومانسي

| | | |
|---|---|---|
| وجه فى الذاكرة | اللغز | على حصان الفجر |
| لن أطلب الرحمة | بينى وبينك خفايا | فرس الريح |
| كفى خداعا | الفجر فى الغسق | قريبا يا ملاكي |
| فى مجاهل الرغبة | المرفأ الأخير | لعبة بين يدية |
| وجوه الغيرة | ضوء آخر النفق | زلئرة |
| إذا كان له قلب | فى ظل العملاق | السهم يرتد |
| كيف ينتهى الحلم | خاتم الأنتقام | أتيت من بعيد |
| حقيبة الجراح | حب فى الظلام | كوخه قرب قصرنا |
| إمرأة بلا مخالب | جزيرة آدم | حارس القلعة |
| إمرأة لكل الفصول | بدر الأندلس | أتى ليبقى |
| مرة فى العمر | ★ ★ ★ ★ ★ | إبتسامة وحيدة |